19me, année No955

Le Caire 22 — 10 — 1951

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٥٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ محرم سنة ١٣٧١ — ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

تركيا الصغيرة !!.

للأستاذ سيد قطب

ها نحن أولاء نخوضها فى هذه الأيام حربا صليبية جديدة ، بل ها نحن أولاء نخوضها معركة من معارك الحروب الصليبية القديمة .. فما خمدت قط نارُ هذه الحروب بيننا وبين الصليبيين ..

ها نحن هؤلاء نخوضها حربا مقدسة فى وادى النيل ، وفى الشمال الإفريقى ، وفى إيران ، وفى العراق . . ولقد كسبنا الجولة الأولى فى إيران العظيمة ، ونحن فى طريقنا إلى كسب الجولة الثانية فى وادى النيل . ولن يقف الشعب العراق القوى المتحمس دون خطوات إيران ، ولا دون خطوات الوادى . والشمال الإفريقى كله يتأهب استعدادا للوثبة الكبرى ..

الظل الأسود يتقلص .. ظل الاستعمار البغيض . ظل الصليبية التى عجزت عن مكافحة الإسلام باسم الدين ، فقامت بحركة التفاف عن طريق الاقتصاد ، ومن طريق الثقافة ، ومن طريق الاستعمار . وهى تحمل الصليب فى قلبها وتخفيه ، بدل أن كان تشهره على الرؤوس وترسمه على الحراب والسيوف !

الظل الأسود يتقلص ، وحطام الاستعمار يتطاير ، فتنحنى عليه الأساطيل ، تلتقطه فارة من اليم ، كما انحنى الطراد الإنجليزى « موريتيوس » ليلتقط بقايا الإمبراطورية من مياه إيران العظيمة !

الظل الأسود يتقلص والراية الإسلامية الكبرى تنشر ظلالها الشفيفة الحبيبة ، تنشرها وتنشر معها القوة والثقة واليقين فى النصر ؛ وتنشر معها العزة والاستعلاء على الذل والقهر

لقد ارتفعت هذه الراية الحبيبة فأنعت فى شهر ما ظل حزب توده الشيوعى يحاوله فى عشر سنوات ولا يستطيع !

وامتدت عدوى الضربة الإيرانية الإسلامية القوية إلى وادى النيل ، ولا غضاضة فى أن نسجل أن إيران قد سبقتنا ، فإيران بضعة من جسم الوطن الإسلامى الحى ، ولا غضاضة فى أن تتحرك الكف لتصفع ، قبل أن تتحرك القدم لتركل ، ولا غضاضة فى أن تتحرك الذراع لتضرب قبل أن تتحرك الرجل لتسحق ! .

— والعراق على الإثر — فشعب العراق الأبى الفتى لا يقبل أن يكون متخلفا .. إن بترول العراق سيؤمم ، وإن معاهدة العراق ستلغى .. ستضرب العراق ضربتها الواحدة لتحقق بها ما حققت

إيران وما حققت مصر فى ضربتين متتاليتين . والشمال الإفريقى كله على الإثر ويتطهر العالم الإسلامى .. يتطهر من أرجاس الصليبية الغربية ، ومن عار الاستعمار الغربى ...

الظل الأسود يتقلص . ولن تعصمه قوة فى الأرض عن التقلص . « لقد دالت دولة الرجل الأبيض » — كما يقول برتر اندرسل الفيلسوف الإنجليزى المعاصر — وتلك سنة الله فى أرضه . ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولكن الصليبية التى لم يهدأ لها بال ، ولم تغمض لها عين منذ القرن الحادى عشر إلى اللحظة الحاضرة ... هذه الصليبية لن تلفظ أنفاسها الأخيرة فى الشرق إلا بعد أن تبذل طاقتها ، وقبل أن تنثر كنانتها

إنها تدرك أن حركات التحرير فى الشرق الإسلامى إن هى إلا صحوة العقيدة التى ظنتها الصليبية قد ماتت إلى الأبد ... إنها لا تخطئ عناصر هذه العقيدة الخالدة فى وثبة التحرير الحاضرة، وفرنسا اللاتينية ، فرنسا التى قادت الحروب الصليبية ، فرنسا هذه أشد حساسية بذلك الروح الإسلامى النابض فى كل حركات التحرير . فهى تحذر من هذا الروح . تحذر منه اليوم علانية ، وتنذر الغرب خطر « العالم الإسلامى » .. لقد أحست مرة أخرى بوجود « العالم الإسلامى » أحست به فى قوة ، وإن كانت طوال حياتها لم تنس وجوده ، ولم تفتر عن مكافحته ، كما لم تفتر إنجلترا وسواها من أمم العالم الغربى عن هذا الكفاح !

وها هى ذى الصليبية تتجمع مرة أخرى لوقف المد الإسلامى الزاحف من جديد — ولكن هيهات ! — لقد فات الموعد ، ومضت عقارب الساعة ودارت دورة الفلك ، وما عاد لقوة بشرية على ظهر هذه الأرض أن تقف فى وجه التيار

لقد انبثقت من ثنايا العدم باكستان . وتفلتت من قبضة الاستعمار إندونيسيا وسوريا ولبنان . وأفلتت من القراصنة إيران، وضربت مصر ضربتها المدوية ، فوقفت الإمبراطورية المحطمة ترنح ، وتطوح بيديها ورجليها فى الهواء توهم الناس أنها قوية وأنها متصرب ، وإن هى إلا سكرات الموت ، وصرعات الحمام ! والشمال الإفريقى كله فى الطريق ، ولن يمتد الزمن طويلا قبل أن يضرب ضربته كذلك

الظل الأسود يتقلص ، والراية الإسلامية ترتفع ، وترف وتخفق ، والكتلة الثالثة تتجمع فى ظل هذه الراية النورانية . راية النصر والعزة والاستعلاء

وفى ضجة المركة الفاصلة الأخيرة . وفى عجيج الوقعة التى تحول سير التاريخ . وفى اندفاع السيل المتدفق الفوار . .

فى ثنايا هذا كله تتسلل من الصف ثعلبة غادرة ، وتتخلف عن الميدان قطة لئيمة ، وتتوارى عن الجمع فأرة حقيرة .. إنها.. إنها تركيا الصغيرة !

تركيا وحدها دون بقية العالم الإسلامى كله تركيا وحدها هى التى تطعن مصر فى ظهرها ، وتتخنس مع أعداء الشرق ، وأعداء الإسلام ، وأعداء الإنسانية . تركيا وحدها هى التى تقبل اليد التى صفعتها والقدم التى ركلتها . تركيا وحدها هي التى تنحنى على الخنجر الذى مزق أوصالها وأجهز على « الرجل المريض » !

ويطير أمين جامعة الدول العربية إلى تركيا ثم يعود ليذيع البشرى على العرب بعودة تركيا إلى راية الإسلام وصفوف المسلمين .. ثم إذا تركيا هذه فى مجلس الأمن تعانق إسرائيل !

وتعلن مصر تحطيم النير الذى يشد عنقها إلى عجلة الإمبراطورية الفانية . ويخرج شعبها يهتف للحرية ، ويتنفس الصعداء . . ثم إذا تركيا هذه تحتج على هتاف الحرية من المصريين !

وتتجمع الصليبية ممثلة فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا ، فتتآمر على مصر المسلمة فى صورة الدفاع المشترك ، وترسل بسفرائها الثلاثة يحملون نتاج المؤامرة الأثيمة .. فإذا هم ثلاثة رابعهم كلبهم يحمل نفس النتاج !

وإنها تركيا .. تركيا التي تستكثر على مصر أن ترفع رأسها ، لأن الفلاحين العبيد لا يجوز أن يتحرروا . . هذه هي العقدة الحقيقية في نفس تركيا ! والعقدة الأخرى هي الإيمان بأوربا والكفر بكل ما هو شرقي ، وكل ما هو إسلامي ، منذ أيام الانقلاب !

إنها تركيا .. تركيا التي ما إن تصاب بكارثة أو زلزال حتى تتدفق عليها الأموال والتبرعات من هنا . من المتمصرين الذين يعيشون في مصر ، ومن خير مصر ، ومن دماء مصر ، وهواهم مع تركيا ، واعتزازهم بالعنصر التركي وبالدم التركي !

إن هذه الأموال التي تتدفق من مصر لهي دماء المصريين الكادحين ، مقطرة ومكثفة ومبلورة . فأما « الفلاحون » فهم الفلاحون . هم العبيد . هم رقيق الأرض . وأما السادة فهم الذين يعتزون بالعنصر التركي وبالدم التركي . هم الذين يصوغون دماء الرقيق ذهبا يتقاطر على تركيا . تركيا الخائنة لمصر وللشرق وللاسلام . تركيا حليفة الصليبيين في القرن العشرين

إن الذين يعيشون هنالك في القصور على ضفاف البوسفور ؛ حيث تجبي إليهم ثمرات العرق والكد والدماء من ضفاف الوادي .. إن هؤلاء هم الذين يطعمون تركيا الخائنة لحم المصريين وعظامهم . وهم الذين يسقون تركيا الخائنة عرق المصريين ودماءهم

(ولقد آن لمصر أن تضع لهذا كله حدا . آن لمصر أن تمنع تسرب قرش واحد إلى تركيا الملعونة . الملعونة من المسلمين أجمعين . الملعونة من الإنسانية المنكوبة بالاستعمار في مشارق الأرض ومغاربها . الملعونة من الأرض والسماء إلى يوم الدين

لقد آن أن تقول مصر لمن يعيشون في قصورهم هناك على ضفاف البوسفور . إما أن تعيشوا هنالك من كدكم وعرقكم ، أو في ضيافة تركيا التي تعتزون بها وتنتسبون إليها . وإما أن تعودوا إلى مصر التي تطعمكم وتسقيكم . فمصر لم تعد أمة من العبيد . ولن تكون يوما أمة من العبيد

إن العالم الإسلامي كله يتحفز للوثبة الكبرى . وإن الكتلة الإسلامية كلها لتتأهب للظهور على المسرح العالمي ، لتمسك بيدها ميزان التعادل والتوازن . فلتلهث تركيا وهي تعدو في ذيل القافلة : قافلة الاستعمار وقافلة الصليبية . ولتركلها العالم الإسلامي بقدمه القوية . فتركيا الصغيرة لم تعد ذات وزن في كفة الميزان . لقد اختارت لنفسها أن تلهث وراء القافلة . فلتلهث . وليلهث معها المتمصرون والمتتركون .. ولكن لنعرف مكانها ، ولنعرف عنوانها .. إنها .. إنها تركيا الصغيرة !

سيد قطب

الولايات المتحدة الأمريكية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

- ٦ -

سياسة العزلة:

كان سكان الولايات المتحدة الأوائل قوما عذبوا فى سبيل دينهم وحرياتهم، وقد دفعهم الظلم الواقع عليهم إلى الهجرة إلى العالم الجديد. وهجرة الوطن والاغتراب عنه ليسا أمرا هينا، ولكن الظلم والاضطهاد يحببان الإنسان الحر فيهما ويدفعانه إليهما

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد

ولما استقر سكان الولايات فى ولاياتهم حاولت إنجلترا أن تستغلهم شأنهم فى ذلك شأن المستعمرات، ولكنهم وقفوا فى وجهها وانتهى الأمر باستقلالهم ١٧٧٦

قرر الأمريكان منذ اللحظة الأولى أن العالم القديم مملوء بالشرور والآثام والمشاكل، وانتهجوا «سياسة العزلة» ومضمونها ألا تساهم الولايات المتحدة فى اتحادات أوربا السياسية وألا تشترك مع أية دولة أوربية فى حل المشاكل التى تقوم فى أوربا، كما قررت الولايات عدم التدخل فى شؤون البلاد الأمريكية التى حررت نفسها من المستعمر الأوربى باعتبارها دولة أمريكية

وقد سارت أمريكا على هذه السياسة، ولكن الحرب لم تلبث أن نشبت فى أوربا عقب قيام الثورة الكبرى فى فرنسا سنة ١٧٨٩، وانقلبت أوربا إلى أتون حربى فى الفترة من سنة ١٧٩٣ — ١٨١٥، وكان النضال بين إنجلترا وفرنسا عنيفا وعنيفا جدا: ذلك أن إحداهما كانت سيدة البحار، وهى إنجلترا وقد تيسر لها القضاء على البحرية الفرنسية، ولكنها لم تستطع أن تنزل إلى البر لتقضى على فرنسا

وكانت الثانية فرنسا سيدة البر التى استطاع ابنها العبقرى نابليون أن يصرع الملوك وأن يذل القياصرة، ولكنه لم يستطع أن ينزل بإنجلترا الهزائم فى البحر، بل بالعكس حطمت إنجلترا أساطيله

طال النضال بين الدولتين ولجأتا إلى الحرب الاقتصادية: فقررت إنجلترا محاصرة الشواطئ الفرنسية، ورد نابليون عليها فقرر أن الجزائر البريطانية فى حالة حصار، وحرم على الدول الأوربية الاتجار معها، وكان غرضه أن يميتها جوعا. فردت إنجلترا عليه بأن قررت منع دخول سفن البلاد المحايدة (ومنها أمريكا) الموانئ الفرنسية أو الموالية لها إلا بعد مرورها على الموانئ الإنجليزية ودفع الأتاوة المطلوبة

وقرر نابليون أنه ما دام الحياد قد أصبح ممنوعا فى البحر فهو ممنوع أيضا فى البر، وطال النضال واشتدت الحرب حتى انتهت بهزيمة فرنسا وتسليم نابليون ١٨١٥

وقد أصاب التجارة الأمريكية ضيق شديد بسبب سياسة إنجلترا البحرية، ومنعها السفن الأمريكية من دخول الموانئ الأوربية، كما أنها قبضت على كثير من البحارة الأمريكان، وبلغ الضيق أقصاه (١٨١٢) فقامت الحرب بين الدولتين

لم تكن الحرب بالنسبة للولايات المتحدة نصرا خالصا وإن انتصرت فى النهاية، كما أنها لم تفد شيئا من هذا النصر، فلم تنل توسعا إقليميا ولم تظفر بأى كسب خارجى يبرر ما أنفقت من أموال وما فقدته من رجال (٢١ ألف بحار، ٣٠ ألف جندى) ورغم هذا يؤمن بعض المؤرخين بأن هذه الحرب قد أفادت الولايات الأمريكية فوائد جمة:

أولا — دعمت هذه الحرب الوحدة القومية إذ أنها دفعت سكان الولايات إلى أن يقفوا صفا واحدا يدافعون عن وطنهم واستقلالهم. وقد أكد ألبرت جالاتين وزير مالية أمريكا (١٨٠١ — ١٨١٣) أن الأمريكيين كانوا أنانيين جدا، شديدى التفكير تفكيرا محليا، فلما جاءت الحرب «جددت الشعور الوطنى والخلق الوطنى اللذين جاءت بهما الثورة، واللذين كانا يتضاءلان مع الأيام، فلقد أصبحت للشعب أهداف توثق بين أفراده وترتبط بها كرامتهم وأفكارهم السياسية. فهم الآن أمريكيون أكثر من ذى قبل، وهم يشعرون ويتصرفون كأمة.

وإنى لشديد الأمل بأن هذا التطور هو خير ما يضمن دوام الاتحاد » وتعتبر هذه الحرب حرب الاستقلال الثانية »

ثانيا — عرفت أمريكا أن الاستقلال الاقتصادى جوهرى تماما مثل الاستقلال السياسى ، بل عرفت ما هو أكثر من هذا؛ عرفت أن الاستقلال السياسى لا يمكن أن يقوم ولا يمكن أن تكون له قيمة إلا إذا قام على أساس الاستقلال الاقتصادى، ولهذا لجأت الولايات المتحدة إلى حماية استقلالها الاقتصادى ففرضت تعريفة جمركية تسمح بازدهار الصناعة الأمريكية

مبدأ منرو :

سارت الولايات الأمريكية فى سياستها الخارجية على مبدإ العزلة كما رأينا، وقررت عدم الاشتراك فى أى اتحاد أوربى، كما قررت عدم التدخل فى شؤون الولايات الأمريكية التى تحصل على استقلالها

وفى ١٨١٧ تولى جيمس منرو رئاسة الجمهورية الأمريكية وكان شديد الرأى حازما فيما يقر رأيه عليه » وقد وضع منرو مبدأ هاما فى السياسة الأمريكية عرف باسمه وأهم ما جاء فيه :

أولا — إن أية أمة أمريكية تحصل على استقلالها لا يمكن أن تعود مستعمرة ثانية ، وأن أى اعتداء على استقلالها تعتبره الولايات المتحدة عملا عدائيا بالنسبة لها أو بعبارة أخرى وضع منرو مبدأ وجوب عدم تدخل الدول ، الأوربية فى الشؤون الأمريكية

ثانيا — إن قارتى أمريكا بما تتمتعان به وتحافظان عليه من حرية واستقلال قد أصبحتا غير خاضعتين لاستعمار أية دولة أوربية فى المستقبل

ثالثا — إن النظام السياسى للدول الأوروبية يختلف تماما من نظام أمريكا ، ويجب أن تعتبر أية محاولة من جانب تلك الدول لبسط نظامها على أى جزء فى هذا النصف من الكرة الأرضية خطرا على سلامتنا وأمننا

رابعا — لم نتدخل ولن نتدخل فى شؤون المستعمرات القائمة أو البلاد التابعة لأية دولة أوربية

خامسا — لم نساهم بأى نصيب فى الحروب التى نشبت بين الدول الأوربية لأمور خاصة بها ، كما أنه ليس مما يتفق مع سياستنا أن نفعل ذلك . »

ولعل أحد القراء يسألنى : ما هى الظروف التى أدت إلى أن يصدر الرئيس منرو تصريحه هذا ؟ والجواب على ذلك أن بعض الأمم الأمريكية مثل الأرجنتين وشيلى قد انتهزت فرصة الثورة الفرنسية وانشغال أوربا أثناء حروب نابليون وأعلنت استقلالها وخروجها على إسبانيا . وفى ١٨٢٢ خول الرئيس مونرو — تحت ضغط شعبى عنيف — سلطة الاعتراف بالدول الجديدة وهى كولومبيا وشيلى والمكسيك والبرازيل، وتبادلت الولايات المتحدة التمثيل السياسى مع هذه الدول الناشئة ، وتم اعتراف الولايات المتحدة بهذه الدول على أنها دول شقيقة مستقلة تقف معها على قدم المساواة مكونة جزءا من أمريكا الحرة

فى هذه الأثناء كانت الدول الأوربية الكبرى قد كونت التحالف الرباعى وكان الغرض الرئيسى من إقامته منع فرنسا من العودة إلى الثورة وتهديد السلام الأوربى ، ولكن مترنيخ رئيس وزراء النمسا وزعيم الرجعية وعدو الحرية والقومية حاول تأويل نصوص المحالفة الرباعية تأويلا يمكنه من دعم الحكم المطلق الذى كان قائما فى النمسا ومن مقاومة الحركات القومية . وقد نجح فى كسب قيصر الروسيا وملك بروسيا بل وفرنسا إلى جانبه . احتجت إنجلترا على ذلك التدخل فى شؤون الأمم الذاتية ولكن احتجاجها ذهب عبثا ، فقررت الدول القضاء على الثورات التى قامت فى نابلى وفى بيرمنت ١٨٢٠ تطلب الحكم الدستورى وعهدت إلى النمسا بتنفيذ ذلك

ثم قامت ثورة دستورية فى إسبانيا ١٨٢٠ فقررت الدول القضاء عليها فى مؤتمر فيرونا ١٨٢٣ ووكلت إلى فرنسا تحقيق ذلك . خافت أمريكا من أن تقضى فرنسا على الثورة الدستورية فى أسبانيا ثم تنتقل بعد ذلك إلى القضاء على استقلال الدول الأمريكية الناشئة لتكون لها مناطق نفوذ فأعلن رئيسها منرو مبدأه السابق حتى يمنع فرنسا أو غيرها من التدخل فى شؤون الدول الأمريكية الجديدة

وقد احتجت إنجلترا على تدخل الدول فى شؤون إسبانيا،

في الأدب الفارسي :

الرديف في الشعر الشرقي

للأستاذ عطا الله ترزي باشي

إن الأشعار الشرقية في جمالها وجوهرها تتشابه إلى حد عظيم ، وقد حصل هذا التشابه نتيجة بعض العوامل التي أثرت في كل من هـذه الأشعار . فقـد اصطبغ الأدب الشرق بوجود هذه العوامل ، وهي كثيرة ، بلون خاص يميزه في أساسه عن الأدب الغربي تمييزا بينا . وينبغي أن نجعل رابطة الدين في مقدمة تلك العوامل

لقـد كان أثر الإسلام عظيما في الحياة الأدبية عند العرب . ونجد أن هذا الأثر قد امتد كذلك إلى الآداب الشرقية الأخرى . فأصبحت هـذه الآداب متأثرا بعضها ببعض ؛ فقد تأثر الأدب الفارسي بالأدب العربي وبالعكس ، كما أن الأدب التركي تأثر بهما ، حتى لأصبح الشاعر التركي في وقت من الأوقات يجيد اللغتين العربية والفارسية بقدرما يجيد لغته الأصلية فينظم فيهما الأشعار . وقد خلف كثير من شعراء الترك دواوين كثيرة في الفارسية والعربية

وكذلك كان حال الشعراء الفرس ؛ فقـد اصطبغ الشعر الفارسي بطابع الشعرين العربي والتركي . وهكذا قل من الشعر الأردي فإنه مزيج من عدة لغات إسلامية حية أهمها الفارسية والعربية والتركية وعليه فقد وجد ، بسبب هذا الدين الحنيف ، اتصال وثيق بين الأشعار الشرقية

ولقد بلغ هـذا التشابه درجة توحدت فيها قواعد الأوزان وكثير من الأسس الأخرى الموضوعة للمنظومات الشعرية في الشرق

ومع ذلك كله فإن كلا من هذه الآداب يحتفظ بطابعه الخاص الذي يميزه عن غـيره . فهنالك مظاهر قوية تميز الأشعار الشرقية بعضها عن البعض الآخر ، وهي التي تستند عليها قواعد نظم الشعر من بعض الوجوه

ويدور هـذا المقال حول « الرديف » الذي يميز بالشعرين التركي والفارسي وغيرهما من الأشعار الشرقية عن الشعر العربي تمييزا واضحا

والرديف في اللغـة يعني الراكب خلف الراكب وكذلك الردف بكسر الفاء (المنجد) . وقال الفيروز آبادي : الردف بالكسر الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف . . وكل ما تبع شيئا . . والليل والنهار وهما ردفان . . وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا . . الخ (القاموس المحيط)

وقال القاموس أيضا الردف في الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروي ليس بينهما شيء (١)

وسكت كل من فريد وجدي والبستاني في دائرتيهما عن ذكر اصطلاح الردف أو الرديف في الشعر

ومما يجدر الإشارة إليه أن الأدبين التركي والفارسي يفرقان بين الردف والرديف . فالشعر (المردف) بفتح الدال اصطلاحا هو غير الشعر (المردف) بتشديد الدال ، وقد عالجنا الأخير في هذا المقال

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الشعرين التركي والفارسي

(١) أنظر القاموس المحيط ط ١٩٣٣ ، ج ٣ ، ص ١٤٣

وخافت أيضا من أن يمتد نفوذ فرنسا إلى الدول الأمريكية التي كانت تستأثر بجانب كبير من تجارتها الخارجية ، ولكن احتجاجها ذهب أدراج الرياح فسارع وزير خارجيتها كانتج إلى الاعتراف باستقلال الدول الأمريكية الجديدة « حتى ينشئ » كما قال « عالما جديدا يوازن ما تحصل عليه غيره من الفوائد في العالم القديم »

فوينا — ابو الفتوح عطيفة

يختلفان عن الشعر العربي حتى في الردف . فقد جوز العرب الردف في حرفي الواو والياء، ذاهبا إلى صحة القافية بين (الفعيل) و (الفعول) . مثال ذلك ما قاله المتنبي في رثاء محمد بن إسحق التنوخي في قصيدة مطلعها :

إني لأعلم واللبيب خبير   أن الحياة وإن حرصت غرور

لجعل كلا من الكلمات (خبير ، غرور ، بصير ، نور ، تسير ، طور . . الخ) قافية لقصيدته • وهذا الاستعمال غير جائز في الشعرين التركي والفارسي إطلاقا

* * *

والرديف في اصطلاح شعراء الترك والفرس لفظ يتكرر في نهاية كل بيت من الشعر(٢) . فهو عبارة عما تلا حروف الروى من حروف أو كلمات في البيت مباشرة (٣)

وعلى هذا الاعتبار فإن لفظ الرديف يتكون من حرف أو حرفين أو أكثر ، أو من كلة أو كلتين أو أكثر، إذ يكرر الشاعر أحيانا ربع البيت أو ثلثه كما يتبين من الأمثلة الآتية :

قالت الشاعرة التركية (فطنت) :

غناى قلبه سبب دولت قناعت (ايمش
جهانده جاى فرح كوشه فراغت (ايمش

ومعناه : أن من بواعث استغناء الفؤاد القناعة ، ومن دواعي السرور في هذا الكون الانزواء إلى الخلوة !

وقال الشاعر الفارسي العظيم (عمر الخيام) في إحدى رباعياته :

آنان كه در آمدند ودرجوش (شدند
آشفته ناز وطرب نوش (شدند
خوردند پياله ومدهوش (شدند
درخواب عدم جله هم آغوش (شدند

وترجم هذه الرباعية إلى اللغة التركية نظما شاعر تركيا الأول وسفيرها السابق في البا كستان الأستاذ يحيى كال ، مراعيا فيها قواعد الردف :

أونلركه كاوب بودهره برجوش (أولرق
أذواقه ساريلديلر قدح نوش (أولرق
إيجدكارى باده لرله مدهوش (أولرق
صوك أويقويه والديلرهم آغوش (أولرق

يعني « هاج الذين غاروا في بحر المسرة يشربون ، مرحين مدهوشين ، من كؤوس فناموا ، وهم سائرون إلى الفناء ، متعانقين . »

ولهذا الشاعر التركي غزل مردف مشهور ، ننقل إلى القراء بعض أبياته ، ومنه يتبين أن الرديف يتكرر في نهاية الشطر الثاني من كل بيت من الشعر بخلاف مطلعه حيث يتكرر في شطريه (٤) :

آهسته جك كوره كارى مهتاب (أوياعـون
بر عالم خيـاله دالان آب (أوياعـون
آغوش نوبهارده خوا بيـده درجهان
سورسون صباحى حشره قدرخواب (أوياعـون
اى كل سكوته وارمايى أمرايله بلبله
كاشنده مست ذوق أولان أحباب (أوياعـون

ومعناه : « مهلا أيها الملاح لا تحرك مجدافيك سريعا فيهتز الماء اللجي الغارق في الخيال ، فيوقظ ضوء القمر !

إن الكون غثال رائع وقد ضمه الربيع البهي إلى صدره ، فليتنا لم نتيقظ من سنة الكرى ، وليت الصبح أبد الدهر لم ينجل ! .

أيها الورد ناد البلبل يسكت ، لكي لا يتنبه الأحبة وهم في الروض نائمون فرحين »

* * *

تلك أمثلة ذكرناها والرديف فيها متكون من كلة واحدة،

(٢) انظر معجم المعلم ناجي في اللغة العثمانية : مادة « الرديف »
(٣) المعلم ناجي أيضا في كتابه الاصطلاحات الأدبية جـ ١ ، ص ٨٤

(٤) وكذلك الرباعيات المردفة فإن الرديف يتكرر في نهاية كل شطر منها على الأغلب

وإليكم هذا المثال وفيه الرديف كلمتان :

بنم تك هيج كيم زار ويريشان (أولمسون يارب
أسير دردعشق وداغ هجران (أولمسون يارب

يقول الشاعر : رب لا تجعل أحدا من الناس مثلي ، يشق في نار الفراق مضطجعا بآلام الغرام

ويصادف أن يستوعب الرديف كل البيت باستثناء كلمة تترك للقافية ، كما قال الشاعر :

صفا (ى عشق كيم آ كلير كيمكله سويلشه لم
وفا (ى عشقى كيم آ كلر كيمكله سويشله لم

يعني : من يفهم صفو الغرام ! مع من نتحدث ؟! ومن يفهم معنى الوفاء في الغرام ! مع من نتحدث ؟!

ومن النادر جدا استعمال مثل هذا البيت — الذي جرى مجرى المثل — في الشعر

ولا يتسع المقال أن نسرد الأمثلة على الرديف الذي أصبحت الدواوين التركية والفارسية زاخرة به ، بل وأن الأشعار المردفة في هذين الأدبين تفوق الأشعار غير المردفة عدا . والنوع الأول (أي الردف) أسهل نظما للشاعر وأكثر تأثيرا على السامع من غير المردف . وأن نظم الشعر الخالي عن الرديف أصعب من نظم الشعر المردف . بيد أن المردف أكثر انسجاما ، وأشد وقعا من حيث النغمات من غير المردف

ولا يصادف هذا اللون من الشعر في الأدب العربي إلا نادرا ، بل وذهب البعض إلى أن الرديف غير وارد في الشعر العربي إطلاقا . فيذكر الشاعر التركي الشهير « نامق كال » (٥) أن الرديف خاص بالشعرين التركي والفارسي دون الآداب الأخرى (٦) وإلى هذا يشير الدكتور طه حسين باشا (٧) قائلا : « إن الشعر العربي وحده ، هو الذي يختص بالتزام قافية واحدة في القصيدة »

(٥) راجع كتابه « تخريب خرابات » ص ٣٦

(٦) ونرى أن الرديف وإن كان يعتبر من المميزات الأساسية لهذين الأدبين إلا أنه ورد في الأشعار العربية ، وحتى في الأشعار الغربية ، أمثلة عليها كما يتبين ذلك من هذا المقال ..

(٧) في كتابه « تجديد ذكرى أبي العلاء المعري » ط ٣ ، ص ٢١٧

* * *

ولقد استشكل على البعض من الكتاب أمر التفريق بين الرديف والإيطاء ، فخلطوا بينهما خلطا عجيبا يكاد يذهب من الردف جماله

والإيطاء هو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس في قافية — سرح مرقب — وفي قافية أخرى — فوق مرقب — وليس بينهما غير بيت واحد . .

ويلاحظ أن الإيطاء كلما تباعد كان أخف . وكذلك إن خرج الشاعر من موضوع إلى موضوع كأن يخرج من مدح إلى ذم ..

ومن الإيطاء قول ذؤيب :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فصرعنه تحت العجاج فجنبه متترب ولكل جنب مصرع

فكرر تلك البيت . . . ولو أن الشاعر كان قد التزم القافية في موضعي « فتخرموا » و « متترب » لعددنا « ولكل جنب مصرع » رديفا

وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناها لم يكن إيطاء . وقال الفراء إنما يواطئ الشاعر عن عي . وإذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيبا . نحو قول امرئ القيس :

خليلي مرابي على (أم جندب
ثم قال في البيت الثاني : لدى (أم جندب (٨)

والواقع أن هذا المثال الأخير لا يخرج عن كونه حالة من حالات الرديف . إذ ينبغي أن نعتبر كلمتي (أم جندب) رديفا

ويقرب من هذا ما قاله توبة مخاطبا بعل ليلى الأخيلية :

لعلك يا تيسا نزا في مريرة تعاقب ليلى أن تراني (أزورها
على دماء البدن إن كان بعلها يرى لي ذنبا غير أني (أزورها

(٨) أنظر « العمدة في صناعة الشعر ونقده » تأليف أبي علي القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ج ١ ، ص ١١٣

وهذه قطعة مترجمة من شعر الشاعر الأردى الكبير (محمد إقبال) مردفة فى الأصل . وقد حافظ المترجم فى نفس الوقت على رديفها فى العربية :

اخلقن دنياك كى تحيا بها　　سر هذا الكون بالحق (الحياة
هي فى الحربة بحر زاخر　　وغدير فى حمى الرق (الحياة
تختفى فى الطين سرا وترى　　بقوى التسخير الخلق (الحياة
هى فى الغافل ترب هامد　　وهى فى اليقظان سيف جاهد

وفى هذا يقول الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى هامش المقال الذى نشره فى العدد الأول من مجلة الثقافة [٩] حول الأدب الهندى الإسلامى :

« إن شعراء الفارسية والأردية [١٠] يجيزون أن تكرر كلمة واحدة [١١] فى آخر الأبيات ويسمونها رديفا ، ولكنهم يلتزمون قبلها قافية . فالحياة فى الأبيات الثلاثة رديف ، والقافية فى الكلمات التى قبلها »

وينبغى اعتبار الضمائر التى تلحق بأواخر الأبيات فى الشعر العربى رديفا كما يتبين من هذه الأمثلة :

قال المعرى فى لزومياته :

مل المقام فكم أعاشر أمة　　أمرت بغير صلاحها أمراؤ (ها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها　　فعدوا مصالحها وهم أجراؤ (ها

فهنا ينبغى أن نعتبر (ها) فى نهاية الأبيات رديفا

وقال سالم بن وابصة :

لعمرك ما أهويت كفى لريبة　　ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها　　ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

وهنا ياء المتكلم رديف . . وفى المثال الآتى الضمير « نا » رديف . . وهو من شعر بشامة النهشلى

إنا محيوك يا سلمى فحيينا　　وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
وإن دعوت إلى جلى ومكرمة　　يوم سراة كرام الناس فادعينا

(٩) الصادر بتاريخ ٣ يناير ١٩٣٩
(١٠) والتركية وغيرها . .
(١١) أو أكثر . . أو حرف أو أكثر ، كما وضحنا فى هذا المقال

وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى يعجز المقال عن ذكرها . . .

ويشير الأستاذ محمد مهدى البصير [١٢] إلى نوع من الشعر الردف اخترعه البغداديون لسرد الحكايات والخرافات يسمى بـ (الكان وكان) وهو نوع من الشعر العامى قافيته مردوفة دائما . . . وقد تطور حتى نظمت به الحكم والمواعظ ولكنه ظل محافظا على صبغته العامية إلى أن انقرض . . .

* * *

ومهما يكن من أمر فإن العرب كما سبق لم تستعمل فى أشعارها الرديف إلا نادرا جدا . إذ يصعب على المحقق الباحث أن يعثر فى الدواوين الشعرية على أمثلة وافية من الشعر العربى المردوف . . أما الأمثلة التى أتينا بها فى هذا المقال وغيرها من الأشعار المردفة إنما وردت على لسان شعراء العرب عرضا من غير قصد . . هذا بعكس ما عليه الأمر فى الشعرين التركى والفارسى ، فإن الأشعار المردفة فيهما كثيرة . بحيث أنك لا تجد شاعرا من شعرائهما إلا وقد استعمل هذا اللون من الشعر فى ديوانه [١٣]

ولا يخفى ما لهذا النوع من الشعر من اللطافة والجمال والحلاوة ما لا تتذوقه فى غيره من أنواع الشعر ، فترى القارئ ينجذب إليه بقوة السحر الذى يتجلى فى سلاسة ألفاظه وسهولة تراكيبه ، ولذا يفضل الكثيرون من شعراء الترك والفرس نظم الأشعار المردفة . وقد شاع استعمال هذا اللون من الشعر فى الغزل أكثر من شيوعه فى باقى الأغراض

ولا غرابة فى أن نعثر فى آداب الأمم الأوربية على أمثلة لهذا النوع من الشعر ، لا نشك فى أن شعراءهم قد اقتبسوها من الشرق . وخير مثال نورده هنا القصيدة الإنكليزية التى

(١٢) راجع كتابه : الموشح فى الأندلس وفى المشرق ، ص ١٠

(١٣) وهناك فرق غير واضح بين الشعرين التركى والفارسى المردفين وهو أن الرديف فى الثانى غالبا ما يتكون من كلمة واحدة بخلاف الأول حيث يكثر فيه الأشعار المردفة التى رديفها كلمتان أو أكثر . .

أبو الثناء الألوسي الكبير

« بمناسبة مرور مائة عام على وفاته »

للأستاذ محمود العبطة

— ٣ —

عزله من الإفتاء :

بعد سنين حافلة بجليل الأعمال ، بانمة بنهضة العلم وتقدم الأدب ورقى المعارف ، يرعاها الألوسي الكبير بعلمه الوافر وأدبه الثر ، وشخصه اللامع ... بعد هذه السنين التي هي بمثابة ضوء لامع ساطع يمده شهاب الدين الألوسي بالقوة والحياة ، في تلك السنين المظلمة المعتمة ، وبعد تلك السنين الخصبة صدرت إرادة الخليفة العثماني بنقل الوالي المصلح على رضا من ولاية بغداد وتعيين الوالي نجيب باشا مكانه (كانت ولايته عام ١٨٤٢ م) ولم يكن الوالي الجديد يقل عن الوالي القديم حبا للاصلاح وإيثارا للأمن والسلام ، وإن كان يفرق عنه في إيثاره القوة حين ينفع العقل ، والتصرف الصحيح ، ويفرق عنه أيضا في عنجهيته وكبريائه ، وعذره في الخيلاء والكبرياء أنه من بيت السلاطين ، ويجرى في عروقه الدم الملوكي ! وكما كانت بداية على رضا دليل شؤم ونحس على الألوسي ، إذ سجن فيها وعذب ، فقد كانت نهاية ولايته دليل شؤم ونحس على الألوسي بالذات وعلى (بغداد) التي وجدت فيه خير باعث لاسمها ومجدها أخيرا . . جاء محمد نجيب للولاية ، ولم يكن يعلم حالة أهلها وما هم عليه من تحزب وشقاق ، وحسد ونفاق ، وبعد أن استقر به المقام وتسلم زمام الولاية ؛ تحركت جيوش البغي والنفاق ، التي أخرسها عدل على رضا ، إذ تمكن أعداء الألوسي الكبير أن يفهموا الوالي الجبار أن مفتي بغداد يكرهه ويكيد له ، وأثر ما تمكن هذا القول من قلب الوالي ، تجمع الأعداء وعددهم أكثر من مائتين تبعهم جمع كبير من السوقة والرعاع ثم قصدوا قصر الوالي نجيب الواقع في خارج بغداد القديمة وعلى شاطئ دجلة . وعندما قربت الجموع من قصر الوالي اندهش مما رأى وقال في سره إن ثورة حدثت ، أو انقلابا يهدد ولايته وخليفته بالويل والثبور ، وعندما استطلع الخبر أخبره زعماء المظاهرة أن سبب البلاء ورأس الفتنة هو أبو الثناء الألوسي مفتي الحنفية الذي يشاركه فيها واعظ الجيلي ، وأن من الخير وقطعا لدابر الفساد عزل المفتي الألوسي من الفتوى ونفي الواعظ إلى مدينة البصرة ! (١) فأجاب الوالي طلب المتظاهرين وأصدر حالا أمره بعزل الألوسي من الإفتاء ، وذلك عام ١٢٦٣ هـ (٢) وقد سبقت هذه الحادثة ، حادثة أخرى تصور درجة حقد الوالي على الألوسي ودرجة لؤمه أيضا ، وتلك الحادثة الأخرى هي أن كتابا ورد الألوسي المفتي من قصر السلطان في الآستانة ، يطلب فيه رجال القصر حضور مفتي بغداد إلى العاصمة العثمانية للاشتراك في ختان أبناء السلطان عبد المجيد ؛ فطلب الوالي من المفتي الاعتذار عن حضور الختان ، فأجاب المفتي الألوسي طلبه وأرسل رسالة يعتذر فيها عن الاشتراك في الحفلة (٣) والوالي الذي يطلب من الألوسي الاعتذار عن السفر يقوم بدور الثعلب المراوغ فيرسل إلى القصر العثماني رسالة يتقول فيها ما يشاء ويتهم الألوسي بأنه لم يحضر الحفلة إلا كبرياء واحتقارا ! (٤)

(١) المسك الأذفر (ص : ١٣)
(٢) أعلام العراق (ص : ٢٤)
(٣) المصدر السابق
(٤) المصدر السابق

مطلعها :

She is a rich and rare (land
Oh-she's a fresh and fair (land

وهي من نظم الشاعر المعروف (توماس أوزبرن) . ويلاحظ هنا أن الشاعر كلمة « لاند » في آخر الأبيات رديفا ، والتزم في الكلمات التي قبلها قافية ..

كركوك — العراق عطا الله ترزي باشي

ومهما كان السبب فقد عزل الألوسى من الإفتاء، وانصرف بكليته إلى إتمام تفسيره وتعليم تلاميذه، ومنادمة خلانه. وقد قابل أمر العزل برباطة جأش معهودة فيه بكل أطوار حياته مترقبا الأيام، وتقلب الأحوال... كل هـذا والوالى يتحين الفرص للقضاء عليه، والفتك به، ولما لم يجد سبيلا لذلك فقد قطع عليه مصدر رزقه الوحيد، وهو ما تدره عليه تولية جامع مرجان من مال قليل يقتات به وأهله الكثيرون، فأصدر الوالى بجيب أمره بعزله من التولية بعـد أن عزله من الإفتاء وصادر وظائفه الأخرى، وذلك بعد عزله من الإفتاء بخمسة أيام (٥) مع أنه عين متوليا على جامع مرجان قبل تعيينه مفتيا على مدينة بغداد، هكذا تقول المصادر التاريخية، وقولها الصدق، ولكن للجبروت والاستبداد صولة وسلطة، فى عهد لم تقيد فيه سلطة الحاكمين بالقوانين والأنظمة والعرف المستقر.

وبرفع الفتوى والتولية عن الألوسى الكبير توالت النكبات عليـه، وعضه الفقر بنابه حتى باع كتبه وأثاثه وحاجاته البيتية ليقتات أهله وعائلته الكبيرة بثمنها. وهو مع هـذه المصائب منصرف إلى إنجاز التفسير والقيام بواجب الدراسة ومجالسة الإخوان. ويقول الألوسى فى مقاماته التى هى منبع غزير وصورة صادقة لحياته وعصره، خصوصا وأنه كتبها فى سنيه الأخيرة. يقول واصفا وظيفة الإفتاء وتدخل الحكام فى شؤون المفتى (٦) (وقد كنت أرى أمر الإفتاء، أمر من القضاء، حيث مزقت الشورى إذ ذاك أديمه، وأسقمه أعضاء المجلس ذوو الآراء السقيمة، أعضاءه السليمة، فلم يكن يختاره إلا ذو جهالة، قد جعل والعياذ بالله تعالى دينه لدنياه حباله، وحاشاى أن أكون كذلك.) وبقى فى حاجة ملحة إلى المادة، وفى قلق نفسى لا يزيله إلا مجالسة إخوان الصفاء ومدارسة التلاميذ والطلبة. وعند وصول أحد ابن الوالي بغداد، عرض شكواه عليه، ووصف سوء حالته له، فوجد منه أذنا صاغية، وقلبا رحوما، أزال منه بعض بلواه (٧)

(٥) المقامات
(٦) المصدر السابق
(٧) المسك الأذفر (ص: ١٢)

و — رحلته إلى الآستانة :

مضت السنة الأولى والثانية والثالثة، والألوسى يتحمل ضربات القدر، بعد أن سد باب رزقه، وبعد أن لم يبق فى بيته من أثاث وأشياء ما يباع، حتى كاد — على ما يقول أن يأكل الحصير على مداد التفسير، وقد وجد — وهو الخبير بتقلب الأحوال وطباع الناس — أن خير مخرج له هو أن يشد الرحال إلى العاصمة العثمانية.. خصوصا وحالته المادية تزداد فى الهبوط، إذ لا مصدر للرزق له، ثم إن دروسه التى يلقيها فى بيته تلقى مجانا على سنة علماء بغداد.. عزم الألوسى على السفر إلى استانبول، ليعرض شكايته إلى أولى الأمر، ويرفع ما بقلوبهم من كراهية وحقد. فشد رحاله فى غرة جمادى الثـانية عام ١٢٦٧ هـ (٨) (١٨٤٥م) وكان معه فى قافلته المؤرخ سليمان والوالى عبد الكريم ومصطفى الربيعى وإقبـال الدولة الهندى.. تحركت القافلة ضحى جمادى، تحمل كبار القوم ومعهم الألوسى وولد عبد الباقى، وكان لسان حاله يردد قول الأمير الحميرى :

نعيم الإقامة فى بلدة   تناكرنى بعد عرفانها

سارت القافلة على بركة الله فوصلت الموصل فجزيرة ابن عمر فديار بكر حتى وصلت سامسون ومنها ركب الألوسى إلى القسطنطينية. وصل المدينة التى كان يحلم بها والتى كانت المركز العصبى للدولة الواسعة، وكانت استانبول فى عهده عروس الشرق الأوسط، لأن الأموال تجبى من أطراف المملكة لكى تمد هذه المدينة وتزين! فاتصل بشيخ الإسلام عارف حكمت الحسينى وقدم له التفسير فقـابله الشيخ ببرودة غير معهودة، وأخيرا تمكن الألوسى من إقناعه وإزالة ما بصدره من أقاويل، وجرت بين شيخ الإسلام والمفتى السابق مناظرات ومباحث دلت على سعة اطلاعهما (٩)، وأعانه شيخ الإسلام بالنزول بدار الضيافة بالقصر، إذ قدم مذكرة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ضمنها مطالبه وشكواه وأردف بهما بيتين من الشعر ضمن بهـا شطرا لأبى فراس الحمدانى والبيتين هما :

(٨) وصف رحلته فى العودة إلى بغداد فى نشوة المدام طبع عام ١٢٦٩ هـ

قصدت من الوزراء صدراً معظما   وقد سامني ضر وقد ساءني دهر
فقلت لنفسي والرجاء موفر   (لنا الصدر دون العالمين أو القبر)

وبعد دراسة المذكرة صدرت إرادة سلطانية بتوجيه رتبة قضاء (أرضروم) له مع إعطاء هدية مالية عظيمة (١٠) وبقي في العاصمة أشهراً مكرما محاطا بالإجلال، ثم أراد العودة إلى الوطن معتذرا من شيخ الإسلام الذي اقترح عليه الإقامة في العاصمة فتوجه إلى بغداد في ٢١ شوال عام ١٢٦٨ هـ ومعه في القافلة والي بغداد الجديد رشيد باشا الذي جعله ساعده الأيمن في بغداد، ثم وصلها في ١٥ من ربيع الأول عام ١٢٨٦ هـ وحين الوصول أجرى له استقبال عظيم من قبل إخوانه، ومدة غيابه في الرحلة الميمونة تقرب السنتين

و — الألوسي في أيامه الأخيرة :

رجع الألوسي إلى بغداد بعد رحلة طويلة شاقة، ورجع إلى عادته القديمة يحاضر دروسه في بيته وينادم أصحابه وقد يتردد إلى قصر الوالي الذي كان يستعين به، والألوسي قد شاهد في حله في بغداد وترحاله إلى جزء مهم من الدولة العثمانية، وشاهد الانهيار الروحي والمعنوي في الدولة، فأراد أن يبعث الروح الإسلامية حية يقظة تكون مستمدة حين اعتداء الغربيين على دول المسلمين فألف رسالة مهمة في (الجهاد) (١١) وشرح كتبا أخرى قد ألفها قبلا (١٢) وكأنه كان يعلم بدنو أجله فأراد أن يهدي إلى الأجيال المقبلة تاريخا مفصلا لحياته ولعصره فكتب (مقامات) خالدة هي في مقدمة كتبه الأدبية، وكانت المقامة الأولى إرشادات طيبة إلى أولاده النجباء دلت على خبرة اجتماعية وحس دقيق. والألوسي مع قيامه بهذه الأعمال الجسام كان يتحمل آلام الحمى الناقفة التي أصيب بها أثناء رجوعه من الرحلة إلى بغداد، إذ ابتلت جميع ثيابه، وبقي يتحمل هذا المرض الذي كان يساوره

ز — وفاته :

وهكذا يتم الفصل الأخير من حياة الألوسي الكبير! حياة كلها كفاح مرير، ورجولة مثلى ورعاية للأدب، وتقديس للعلم

تخدر جسم الألوسي الكبير، بعد أن نحل عظمه، وهزل لحمه، ثم ارتفعت روحه إلى خالقها وذلك في صباح ٢٥ ذي القعدة ١٢٧٠ هـ، وقد شيع جثمانه تشييعا حافلا، سارت به بغداد أجمعها، وبين التأسف والتوجع دفن الألوسي في مقبرة عائلته في مقبرة الشيخ معروف الكرخي . رحم الله الألوسي الكبير!

تمت — محمود العبطة

(١٠) أعلام العراق (ص : ٢٦)

(١١) المصدر السابق

(١٢) اسمها (سفرة الزاد لسفرة الجهاد) طبعت في بغداد عام ١٣٣١ هـ

(١٣) من أدب الآباء والأبناء — لمحمود العبطة . الثقافة المصرية (عدد : ٦٤٩)

صـــالح على شرنوبي

للأستاذ رجاء عبد المؤمن النقاش

فى أمسية من أماسى سبتمبر الجارى ، وعلى شاطئ مدينة عتود ، فى جلسة حالمة ضمتنى أنا والأستاذ أبو الفتوح عطيفة ، أخذ الأستاذ يحدثنى عن الآثار الفكرية التى تركتها فى نفسه إحدى زياراته للقاهرة ، وأخذت أصغى إلى حديثه الرقيق الدسم . . وفى لفتة من لفتاته المشرقة ، انطلق يحدثنى من الأثر الذى تركه الشاعر الشاب صالح شرنوبى فى نفسه ، حين سمعه للمرة الأولى فى جمعية الشبان المسيحيين ضمن جماعة من شعراء الشباب ، وقد كان فيهم من البرزين ، إن لم يكن أبرز شخصية وأميزها بينهم جميعا

قلت للأديب معقبا على لفتته تلك : إننى آمل أن يسد هذا الفنان الشاب ثغرة تركتها فى الشعر العربى وفاة على محمود طه ، إذ أننى فى الواقع أنظر إليه بعين الأمل فى مستقبله ، ذاك الذى يلوح لى مشرقا باسما من وراء الإرهاصات الطيبة التى أراها فى شعره وخصوصا وأنه ما زال فى ريق شبابه ، وميعة عمره

ومضى ذلك اليوم ، وفى صباح اليوم التالى ، بينما أتصفح جريدة الأهرام ، لفت نظرى فى صحيفة الوفيات اسم الفنان المبدع ، وقرأت . . فإذا بالشاعر الذى كنا نتحدث عنه بالأمس قد شد راحلته إلى هناك . . إلى عالم الفناء ، أو قل إلى عالم الخلود

لقد كانت لحظة رهيبة أشد الرهبة على نفسى ، عنيفة أقسى العنف على شعورى ، تلك اللحظة التى قرأت فيها النبأ المؤسف . . لقد وقع على وقع الصاعقة التى زلزلت كيانى كله ، وأشعلت فى أعماق كوامن الشجن ، ونكأت فى روحى جرحا عميقا كاد أن يندمل . . أجل ! لقد حلق هذا النبأ على جناحه هناك . . إلى صفحات الماضى القريب للأدب العربى ؛ فمنذ مطلع الربع الثانى من هذا القرن ، وحظ الأدب العربى سيء إلى حد يدعو إلى الأسف ، فكلما لاح فى أفقه نجم ، وتطلع الحيارى إليه على أمل أن يكون بزوغه هدى لهم . . كلما لاح هذا النجم وبدأ ضوءه يملأ الآفاق ، ويخترق حجب الظلام ، ويشق طريقه إلى القمة ، استيقظ الحالمون بعد قليل غفوة على حقائق الواقع المخيفة ، وأفاق السكارى ليروا جثة بأخوسهم أشلاء ممزقة ولما يرتووا بعد من كأسه المحطمة أمامهم فى فناء الحانة الكئيبة الشاحبة

يوم فقـــد الأدب العربى أحمد العاصى ومازال فى شبابه ، ممتلئ النفس ، غض الجناح . . ولم يكد الأدب العربى يفيق من هول الصدمة ، حتى تمزقت من تاريخ الشعر العربى صفحة كادت أن تكون أخلد صفحة فيه . . هناك . . يوم أصبح الناس على صوت الناعى ينبئهم أن أبا القاسم الشابى قد كفنته أعوامه الخمسة والعشرون . وما يكاد الناس ينفضون عن أنفسهم غبار الذهول ، الذى عراهم حتى رأوا الأدب العربى يكاد ينفطر قلبه على فقيد جديد . . وكان الفقيد من السودان . . وكصاحبه أبى القاسم – لم يكن التيجانى يوسف بشير قد أتم فى طريق العمر خمسة وعشرين عاما . . وتتوالى الفجائع على رأس أدبنا المسكين ، فلا يمضى عام إلا وهو يودع إلى شاطئ الأعراف محمد عبد المعطى الهمشرى ، ثم يتبعه إلى نفس النهاية فخرى أبو السعود ، ويليه فؤاد بليبل . وها نحن نرى أمامنا نجما جديدا يخبو ، وعلى صرخات الأنين من الأفئدة الحرى ، والنفوس الملتاعة ، نشيع فى موكب من الأحزان . . صالح على شرنوبى

لم يكد نوره يسطع على الدنيا فيلفت إليه الأنظار ، حتى سقط فى طرفة عين كالبرق الخالب ، والسراب الكذوب . . إلا أنها قصة جديدة نستمعها من تاريخ أدبنا المعاصر . . وصفحة أخرى ريانة الصبا ، مياسة الجمال ، يطويها هذا التاريخ ليحل محلها أخرى صفراء ذابلة ، توحى إلى النفس بالأسى وتدفع إلى محاجرنا منهمر الدمع

مضى صالح .. فى رونق شبابه ، فمضت معه شاعرية ناضجة وهيض إثره جناح جبار ، وانطوت بموته صفحة للفن الرفيع ما كانت لتقدر على طيها الأنواء والعواصف .. ولكنه الموت ! ولكنه القدر ، كانت روحه ألصق ماتكون بالفن ، وكان الفن ألصق مايكون بروحه .. كل ماعرفته عنه يتفق كل الاتفاق مع شخصيته الفنية ، التى رسمتها له فى ذهنى إثر قراءتى المتتابعة له؛ إذ لم تتح لى الظروف أن أتصل به اتصالا مباشرا يتيح لى أن أعرف كل شئ عنه .. كان المرجع فى رسم هذه الصورة فى رأسى هو شعره ، ثم بعض أصدقائه وزملائه الذين اتصلت بهم عن كثب وعرفت منهم بعض طباعه وخلائقه .. أول ظاهرة تلفت نظر الدارس فى شخصية هذا الفنان هى الصدق .. الصدق فى أجمل صورة ، حيث يصدر من طبيعة أصيلة ، ولا أثر للتكلف ولا للصنعة فيه .. فهذا لايخرج القصيدة إلى حيز الحياة ، إلا بعد تجربة نفسية تصهر فيها أحاسيسه ومشاعره . تجربة يعيش فيها ويحس جوها ، ويكتشف دقائقها ، ويلم بحقائقها .. فأنت تشم من شعره فى كل قصيدة وكل بيت ، رائحة « الصدق » تفعم أحاسيسك ، وتملأ مشاعرك ، فتهزك من أعماقك هزا عنيفا ، وتدفعك قسرا إلى متابعته والاندماج فى جو قصيدته بعد أن يلهب نفسك ، ويشمل وجدانك — استمع إليه فى قصيدته على ضفاف الجحيم ، وهو يخاطب القاهرة وأضواءها القاسية :

إنى هنا فعربدى وثورى	ملء عنان اللهو والسرور
ومزقى بضحك الخمور ..	غلالة ينسجها تفكيرى
ليستر العريان من شعورى	ويحجب اللافح من سعيرى
الجائع المدمر الضرير	يود لو يعصف بالقصور
وما كنتها عابدى الفجور	النــاعين فى حمى الحرير
الغافلين عن أسى الفقير	ولوعة المشرد المحرور
الوالغين فى الدم المهدور	من عصب الكادح والأجير
إنى هنا ياجنة الحقير	آكل جوعى وأضم نيرى

قف طويلا أمام تلك التعبيرات الصادقة ، المنطلقة من إحساس صادق ، انتفيأ الظلال التى تتركها على صفحات الشعور الملوح بحرارتها وقوتها ، قف أمام « العريان من شعورى » ثم أمام « عابدى الفجور » .. « الناعين فى حمى الحرير » .. ثم قف بربك أمام الشطر الثانى من البيت الثامن « آكل جوعى وأضم نيرى » .. ثم قل لى هل هناك أصدق فى الإحساس والتعبير وفى دقة الأداء وعمقه ، من تلك التعبيرات ؟

ثم استمع بعد ذلك إلى هذه الومضات المتدفقة من أعماق وجدانه المشتعل :

هذا أنا فى العالم الكبير	فوق ربى القطم المهجور
متخذا من أرضه سريرى	من الحصى والطين والصخور
وتحت سقف الأفق المطير	والقاصف المزمجر الغرور
أنام نوم العاجز الوتور	على عواء الذئب والهرير
وقهقهات ارعد فى الديجور	تسخر من عجزى ومن تقصيرى

هنا تصوير صادق ، وصادق جدا ، لايقدر عليه إلا شاعر أحس أثر التجربة العميق فى نفسه ، بعد أن جمع إحساسه ، وحشد قدرته الفنية ، ليلتقط دقائق المنظر حتى يخرج صادقا كما هو فى نفس الفنان ، وكما هو فى أعماق الواقع — ولا أترك هذه القصيدة قبل أن أقف أمام هذه الأبيات :

وأنت يا زنجية الضمير	تدرين قدرى وترين نورى
فتفجرين ضحكة الغرور	أو ترتدين كفن القبور
هازئة كالزمن المهجور	من الشالى الفتى الطهور

قف أمام « زنجية الضمير » .. فلعل هذا التعبير يكون المفتاح الصادق لكل وثبة من وثبات شعوره وقفزة من قفزات فنه ، فى القصيدة كلها .. إنه يخاطب زنجية الضمير . فعليه أن يغترف من منبع السخط عليها ، كل لفظة تتناسب مع جو القصيدة العاصف ، وكل حركة تتفق وموسيقاها الصاخبة . الصدق .. صدق الفنان . هو الظاهرة الأولى فى شخصية صالح شرنوبى .. ويلى ذلك ظاهرة الانطلاق .. الانطلاق الحر الذى لايقيده قيد ولاتحده حدود .. وهذا الانطلاق الفنى لايتوفر إلا لكل شاعر

جبار الجناحين، قادر على التحليق فى الآفاق الواسعة، مكتمل الأداة، يسير فى حرية من فنه الذى لا يضيق به، ومن نفسه التى تتسع لزاد من الأحاسيس، لا يغنيه ضعف فى الملكة أو جمود فى الطاقة. ترى ماذا أقصد بالانطلاق؟ الانطلاق فى رأيى، هو أن يكون الفنان صاحب «نفس خاصة» ينظر بها إلى زوايا الحياة نظرة خاصة به وحده، ويتأثر تأثرا له خصائصه المنفردة، ومميزاته التى تهيئ للفنان شخصية لا تضيع فى غمار الشخصيات الفنية الأخرى، ثم هو التعبير عن الإحساس بصدق بالغ مع التحلل من كل القيود التى تفرض من خارج النفس الفنانة.. الانطلاق عملا، هو كما يقول صالح نفسه فى قصيدة «الشاعر»:

شاعر الكون لا يقيده الكو ن وإن ضمه تراب وماء
ساحر النور والظلام، وكم يسمو .. فتفنى فى نوره الظلماء
قلبه العالم الكبير ونجوا ه حنين ورحمة وإخاء
خلقه كالضياء فى كل حال فهو فى الحان والمصلى ضياء
عقله مسرح بنته القادير ر ووشت ظلاله الأضواء
أزلى .. ممثلوه رؤاه والأمانى المجنونة الخرساء

فالنظرة الفاحصة التى تتخطى بدقتها وروعتها وعمقها ظواهر الأشياء، والإحساس الشامل، والأفق الواسع، والتعبير الصادق، والشخصية الخاصة. كل هذه الأشياء هى حدود الانطلاق الذى يرفع من قيمة الفنان شاعرا كان أو موسيقيا أو مصورا

وهذا الانطلاق ظاهرة تلفت النظر فى شخصية صالح الفنية فى كل شعره على الإطلاق، تحسه وأنت تقرأ له: فى لفظه وموسيقاه، فى افتنانه وصوره، فى دفقات وجدانه الشاعر، ونبضات قلبه الفنان .. أو ليس منطلقا ذاك الذى كأنه يستشف حجب الغيب وهو يقول فى «أشواق الربيع»:

تعالى نخلق الحب فقد يخلقنا الحب
لنروى ظمأ الدنيا بما يوحى به القلب
فقد يخنقنا الترب ولم نعشق ولم نصب
وننسى أننا «كنا» وفى أيامنا جدب
تركناه بلا رى وفينا المنهل العذب
تعالى فالردى الجبار لا يحنو ولا يرحم
وهذا سيفه المخضو ب لا يبلى ولا يثلم
يربنى ومضه مالا يرينى ظله الأقتم
تعالى فالغد المرهوب فيان السنا مبهم
ويا ضيعة دنيانا إذا ولى ولم نعلم ..

أو ذلك الذى يقول فى «الأفعى» مصورا لنا موقفا خالدا من مواقف البشرية، هناك ... حيث يتصارع جسد المرأة، وجسد الرجل صراعا خالدا، .. ولكن المرأة فى هذه القصيدة ليست امرأة عادية، .. إنها أفعى، إنها بغى، .. وعليه ينطلق فى تلوين الصورة وتظليلها مختارا لها ما يناسبها من الألوان والظلال.. وذلك ما يبدو واضحا فى القصيدة الرائعة:

إشغليني بما تريدين منى واملئى بالغرام سمعى وعينى
بفنون الإغراء باللهب الثا ر من جسمك البديع الأغن
جسمك العبقرى شكلا وظلا القوى الغنى عن كل حسن ..
إشغليني فقد تنالين من عمرى يوما، نقضيه كالحالمين
عندهذا الركن القريب من الأر ض وإلا فعند أبعد ركن
هو يوم كأى يوم سيمضى أو مضى فالحياة لون كلون
سوف نقضيه وحدنا .. ثم ترضين، وأشكو، وتشمتين، وأثنى
فى غرام مستهتر ... يتصبى كل شئ فينا، ويحيى ويفنى
فى صراع يطول بالراحتين ويحمى وجسمك المارين
وبما فى شبابنا من حياة. واشتهاء يطغى، وشوق يثنى
بين خمر رخيصة وأغان ساقطات، تجرى على غير لحن
ودخان معطر، نتعاطا ه بعيدا، فى وكرنا المستكن
وحديث مهلهل عن لياليـ ـك ومن قلبك الصغير المسن
ونكات حفظتها من «أبى النوا س» أو من جحا الحكيم الفنى

تتقاضيني عليهـــا حياتي   وتقوايَ قد رجمت بظن ...

وننتقل بعد ذلك إلى شعر المناسبات عنده ، لنرى أن أهم ظاهرتين فيه أيضا هما : الصدق والانطلاق

وبين يدينا قصيدته « فاروقية » قائمة على ذلك بالدليل ، شاهدة عليه بالبرهان ، .. يقول في مطلعها : —

حادى الشمس لا تعجل سراها   فهنا لو علمت نبع سناها
مل بها ساعة ... تبث هواها   لجيـل هامت به مقلتاها

ويقول في ختامها الرائع : —

ملك تخشع القوافي لديه   ناهلات من سحره معناها
كل أيامه ، ملاحم مجد   ملأ الدهر كأسه من طلاها
إن تناهى القصيد دون علاه   فمعاني علاه ... لا تتناهى

وكل ما عرفته عن حياته بعد ذلك موافق تماما لشخصيته الفنية التي استخلصنا حدودها من شعره ، ... فقد كان — على ما علمت — مسرفا لا يبقى في يده على شيء ، سمح الخلق ، رضى النفس ، ... شيء واحد أثار تعجبي ودهشتي ، ذلك أنه كان شابا حدث السن ، إذ ما كنت أتصور أن كل هذا النضج وكل هذه الأصالة ، يمكن أن تتوفر لشاب في مثل سنه ، والخطأ في دهشتي وتعجبي واضح بين ، إذ أن القرائن في ماضي أدبنا العربي ، وغيره من الآداب ، لا تنكر حدوث ذلك ، وفوق هذا ، فإن العبقرية غلابة على السن والجنس والنوع ، فليس من لوازمها أن يكون العبقري شيخا ، ولا من موانعها أن يكون رجلا لا امرأة ، أو مصريا لا فرنسيا ... ذلك لأن العبقرية كما قلنا لا حدود لها من سن ، أو جنس ، أو نوع

رحمك الله يا صالح ... إنها لخسارة فادحة حلت بالأدب العربي ، كم أدمت من نفوس ، كنت موضع آمالها، وقبلة مناها، وكم حطمت من أفئدة ، كنت ساكن سويدائها ، ورب هواها ...

ولئن كانت حياتك مثلا من الصدق والانطلاق ، لقد كان موتك ضربا من العبر التي لا تتكرر في كل حين ولكنها — على قلتها — خالدة ، وصفحة باقية ، جذبت إثرها من كتاب التاريخ صفحات ، ... ولن يجد قائل ما يرثيك به خيرا من قولك أيها الفنان :

مات فرد ممن شدا الحق فيهم   « أنتم الناس أيها الشعراء »

رجاء عبد المؤمن النفاسه

٥ ـ أصحاب المعالي

(إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها)

« حديث شريف »

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذا هو البارودى أو بالأحرى فلذات من شخصيته العالية الدائبة على طلب التمجيد والتخليد ، وليس ثمة أبعد همة من احتقار اللذة خمرا ومزمارا ، وأسمى مكانة من الاعتماد على النفس فى سلوك النهج بغية العزة والحماس الكرامة

والبارودى — والحق يقال — من طراز الأبيوردى الذى من شيمه معالى الأمور ، أما قمة النجم فهى موطئ قدمه ، فكيف رأسه :

الناس من خولى والدهر من خدمى ... وقمة النجم عندى موطئ القدم
وللبيان لسانى والندى خضل ... به يدى،والعلا يخلقن من شيمى
لو صيغت الأرض لى دون الورى ذهبا ... لم ترضها لرجى نائل هممى
ومن قليل أرى فى مأزق حرج ... به تشام السريجيات فى القمم

ويقول :

عجبت لمن يبقى مداى وقد رأى ... مساحب ذيلى فوق هام الفراقد
ولى نسب فى الحى مال يفاعه ... رحيب مسارى العرق زاكى المحاتد
ورثنا العلا وهى التى خلقت لنا ... ونحن خلقنا للعلا والمحامد
أبا فأبا من عبد شمس وهكذا ... إلى آدم لم ينمنا غير ماجد

ومن العجيب أن العرب فى شتى الأعصار والأمصار لم يفارقهم هتاف المجد فى الروحات والغدوات ، وما من شئ يحتفلون بذكره فى نثرهم وشعرهم أهم عندهم من المعالى

يقول حسان بن ثابت فى مدح جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان :

دار لقوم قد أراهم مرة ... فوق الأعزة عزهم لم ينقل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأول

ويقول لبيد :

فاقنع بما قسم المليك فإنما ... قسم الخلائق بيننا علامها
فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه ... فسما إليه كهلها وغلامها

ويقول شاعر فى رثاء الأحنف بن قيس :

فما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

ويقول لبيد عند النازلة ، والنجوم والشهب والجبال تراوده :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وكذلك صفى الدين الحلى . وهو يرثى صديقا له غرق بدجلة :

أضجيع ماء أو أديم سماء ... فيه تغور كواكب الجوزاء
ما كنت أعلم قبل موتك موقنا ... أن البدور غروبها فى الماء

ومنها :

أنف العلاء عليك من لمس الثرى ... وحلول باطن حفرة ظلماء

ويقول :

حبك الأوطان عجز ظاهر ... فاغترب تلق عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا ... وسرى البدر به البدر اكتمل

والساعاتى أيضا يذكر المعالى عند الرثاء فيقول :

بكت عيون العلا وانحطت الرتب
ومزقت شملها من حزنها الكتب

وقال آخر :

كل شئ إذا تناهى تواهى ... وانتقاص البدور عند التمام

وقال غيره :

كأن الفتى يرقى من العمر سلما ... إلى أن يجوز الأربعين فينحط

وقال ابن سارة :

لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك
الأعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها ... فراقها الثاويان البدو والحضر

وفي الكرم يقول الشاعر مادحاً عمرو العلا هاشم :

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه
مر السحاب ولا ريح تجاريه

وفي الهجاء يقول الحطيئة للزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وفي الحكم يقول الهذلي :

تالله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس

وفي المال يقول الحافظ :

تبا لمن آتاه رب العلا مالا ولم يرزقه إنفاقه
فالمال كالآل متى لم يكن يبين الإنفاق إشراقه

وكان في العرب رجل اسمه « أنف الناقة » نسبت إليه قبيلته لأنه سيدها وهو جعفر بن قريع ، وكان كل فرد في هذه القبيلة عرضة للسب والتعيير حتى قال الحطيئة فيهم قوله :

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهمو شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم همو الأنف والأذناب غيرهمو
ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

عندئذ جعلوا يفخرون ، وإذا سئل أحدهم عن نسبه لم يبدأ إلا بقوله :

ابن أنف الناقة . وقد كان يغضب إذا ذكر

وفي المدح يضع زهير بن أبي سلمى هرم وقومه فوق الشمس :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

وقالت بنت لبيد تمدح :

أشم الأنف أصيد عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا عليها من بني حام قعودا

وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان « عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها .. »

وعدي هذا هو القائل :

نحن كنا قد علمتم قبلكم عمد البيت وأوتاد الإصار

ويقول ذو الإصبع يرثي قومه :

لم كانت أعالي الأرض فالسران فالعرض
إلى ما حازه الحزن فما أسهل المحض
إلى الكفرين من نخلة فالدارين فالرض
لم كان جمام الماء لا الزحى والبرض
فمن ساجلهم حربا ففي الخيبة والخفض
وهم نالوا على الشنآن والشحناء والبغض
معالي لم ينلها الناس في بسط ولا قبض

وقال محمد بن وهب الحميري :

ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركانا عليها محيطة فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعن فيه للسوابغ جنة وسقف سماء أنشأته الحوافر
لها فلك فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مستطير وثائر
ولو لم تكن إلا بنفسك فاخرا لما انتميت إلا إليك المفاخر

وقال شاعر قديم :

فلال مجد فرعت آصامتا وعزة قعساء لن تناصى

وقال يزيد بن الطثرية :

عدت من عليه تنفض الطل بعدما
رأت حاجب الشمس استوى فترفقا

وقال أحدهم يصف حديقة :

ترفعت عن ندى الأعماق وانحدرت
عن المعاطن فاستغنت بسقياها
فاهتز بالبقل والريحان أسفلها واعتم بالنخل والرمان أعلاها
أيا معاوية اشكر فضل واهبها وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وقال البلوي في وصف بيت :

وقد حلوا أعاليه بتبر وقد بسطوا أسافله رخاما
وقد جعلوا له بابا وقفلا وحلوا بابه ورقا وساما

وقال آخر :

فاستنزلوا أهل (جو) (1) من منازلهم
وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

وقال حسان يهجو نوفل بن الحارث :

(1) أهل جو هم أهل اليمامة

وما ولدت أبناء زهرة منهمو صميا ولم يلحق مجاراتك الجد

والبهاء زهير يقول :

على الطائر الميمون يا خير قادم وأهلا وسهلا بالعلا والمكارم

ويقول ابن سناء الملك :

وما أنا راض أنني واطئ الثرى ولى همة لا ترتضى الأفق مقعدا

ولو علمت زهر النجوم مكانتى لخرت جميعا نحو وجهى سجدا

ويقول صفي الدين الحلي :

سلى الرماح العوالى عن معالينا

واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا

وفى وصف الفرس يقول الثعالبي :

يأيها الملك العزيز ومن له شرف يجر على النجوم ذوائبا

أصلحت بين العالمين بهمة تذر الأجانب بالوفود أقاربا

ويقول مهيار الديلمى :

وأبي كسرى علا إيوانه أين فى الناس أب مثل أبي

وتقول هند بنت طارق فى النسوة يوم أحد وهن يضربن الدفوف والمعازف :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

والطارق هو النجم الذى هو زحل ، فهى تقول نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالطارق ، وما أدراك ما الطارق : النجم الثاقب

وأنشد أبو بكر الأيادى لامرأة من العرب عنفها زوجها :

فقدتك من بعل ملام تدكنى بصدرك لا تغنى فتيلا ولا تملى

ويقول شاعر ارتفع بأمانيه للناس فوق ما يتمنى الناس :

سقى الله أرض العاشقين بغيثه ورد إلى الأوطان كل غريب

وأعطى ذوى الهيئات فوق مناهمو ومتع محبوبا بقرب حبيب

هذه شوارد كلها شواهد على أن الشعراء العرب لم يكونوا بمنأى من المعالى مادية وروحية فى كل ما تتفتق به قرائحهم ، وهذه ظاهرة قلما توجد فى الآداب الأخرى على هذا النحو من التنويع والتوزيع . وصدق ابن قتيبة حين يقول :

« . . ويقال ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى ، والشرف العالى ، والمكان الخضر الخالى »

نستطيع أن نقول فى أمان وأمانة إن الروح العربية كانت مجالا لتوليد هذه المعانى ، ونشدان تلك المعالى ، حتى إذا جاء الإسلام كانت منه فى موضع الرعاية والتقدير ، ولا سيما فيما يرفع المجتمع إلى أسمى الدرجات الإنسانية ، وذلك يؤدى حتما إلى انعكاس المعالى الاجتماعية على النفس المفردة ، فكان الإسلام أشبه بالبؤرة من العدسة اللاقطة العاكسة معا : تلتقط ما دون العصبية المقوتة ، وتحتفظ بالمفاخر لتسلط إشعاعاتها على نفوس المؤمنين بهذه الرسالة الجديدة التى يدعو إليها محمد وهو من أواسط العرب وأشرفهم محتدا وفعالا

والله تعالى هو العلى العظيم المتعالى العالى الأعلى ذو العلا والعلا والمعالى . وصفة الله العليا هى شهادة ألا إله إلا الله

محمد محمود زيتون

المقامة المـــدريدية

للأستاذ إبراهيم الابيـارى

أقلنا البحر على مبسوط مائه، وتحت منشور سمائه. وما هى إلا أن افنا الوجود، فى مثل الثوب المشدود، قدانضمت أطرافه، نبحر ما نبحر وما فى ملتقى السماء بالماء منفذ، وطوانا الغيب فى ظلمات ريب قد تراكبت ألفافه، نفكر حين نفكر فيلتات علينا السبيل والمأخذ

ونحن إذا صافانا الماء، وكتب للباخرة الاستواء، مرددون إلى كل ماهية، مرددون بيت الشادية:

وخطت هونا تهادى خطو ظبى لم يفزع

وراع بالمائجة المائجة، فتلفتنا عما نحن فيه، إلى ما لابد إلى تلافيه، وبمصطخب مع لج البحر لج الفكر، وكأنهما قد التقيا على أمر، فناق غرق الأفكار، لا البحار. ويميد الطود فيترنح كل من عليه ترنح السكارى قد أفلت منهم حبلان حبل الميون، وحبل البطون، هذا عن خوف، وذاك لانقلاب الجوف

ومنا من لو ملك أن يقطع ما بينه وبين الحياة لفعل يشترى الآجل بالعاجل، آخذا بقول القائل:

إن المنى إن يمكن قاطع أوداجه إن جاوز الصبر المدى

ويدركنا الغوث، بعد غيث، ونلحق البر، على مستقر

ولى لسان إذا طاوعته جهرا يكرر الحمد للمولى ويشكره

وأخطو إلى مدريد، على محمل حديد، وإذا أنا بين عشية وضحاها، على مغناها، فألقى عصا التسيار بياض نهار، وما أن انفيأ، حتى أنهيا

أمضـــى إلى الدار التى قـد جلت باسمين

فاروق أرسى أسها بيمينه طه حسين

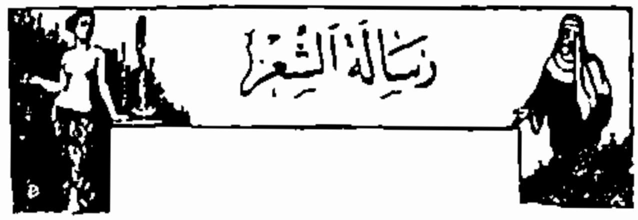
هنا آمال فى أمل، وأعمال للعمل، ودفائن مستورة، ومعالم مطمورة، حف بها الحافون، وخف إليها الخافون، نلقن عنهم، ولا نشركهم، على رابطة بيننا وبين الدارس، ووشيجة تجمعنا بالوارث

إنا وإياكم بمنطق صادق أهل وإن بعد المدى بصلات

وحسبنا هنا عربية إليها نعزى، فنجزى بها أحسن ما نجزى، فالأيدى ممدودة إلينا بالعون، ونحن فى ظل من الرعاية والصون

وغدا سيثمر غرس غارسكم وغد مع العزم الصدوق قريب

مدريد ابراهيم الابيارى



من وحى رأس البر :

فى دولة الطير

رمز « الفجافيج »(١)

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

يادولة الطير : كم سطرت موعظة
للناس لو فكروا فى الطير أحيانا
فيك الوفاء . . وفيك النبل أجمعه
لو أرهف الناس أسماعا وأذهانا :
سل السمانى وقد تاقت لموطنها
واستعذبت غمرات الموت تحنانا
طارت تجوب عباب البحر . . ما طعمت
زادا ، ولم ترو قلبا بات ظمآنا
تطوى الليالى خماصا كى ترى وطنا
يا من رأى طاويا يشتاق أوطانا
إن ينشد المرء رمزا للوفاء ففى
بذل السمانى وفاء قام عنوانا

* * *

يامن يريد مثالا للإخاء : لدى
دنيا الطيور إخاء لاح ألوانا :
سل « الفجافيج » لما شاقها وطن
— مثل السمانى — سرت فى الجو رهبانا
وهى الصغار الضئال الجسم . . لو نظمت
سمطا لأبصرت عقدا ضم مرجانا
طارت تجوب عباب البحر . . لست ترى
جسما لها . . يا لسرب سار حيرانا
الريح تدفعه خطوا . . وترجعه
خطوين . . فهو تزيل عندها هانا
لما تعثر واشتد البلاء به
أوى لأكرم طير عاش رحمانا .
أوى لأجنحة « الكركى » ينشد فى
ظلالها من صروف الدهر أعوانا
فراح يحمله عطفا ، ويمنحه
قلبا حنونا على الأيام ما خانا
فى رحلة ترتجى الأطيار لو افتقدت
أجسامها ومضت بالروح وحدانا
حتى تخف لأهوال تنوء بها :
مما يشيب ويفنى الروح نسيانا

* * *

عشراً وعشراً رأت من صدره نزلا
ومن جناحيه أعشاشا وأكنانا
فلم تبال عباب البحر مصطخبا
ولم تحاذر ضباب الجو إن رانا
ولا أحست بلفح الشمس يصهرها . .
ألقت عن الروح أعباء وأشجانا
ونام عنها شقاء الدهر فابتهجت
وأسلمت للكرى قلبا وأجفانا
وطالع الوطن المحبوب مقلتها
حلما جميلا فناجت منه أغصانا
حتى إذا وصلت للشط سالمة
طارت فلم يزجها « الكركى » شكرانا
ولا رأت عنده منا يكدر ما
أسدت يداه . ولا بغيا وعدوانا

---

(١) صغار العصافير . تقبل فى موسم السمان .

ولم يصبها بسوء ... بل رأى – كرما –
عون الضعيف الذي لم يلق معوانا
ولو أراد لكانت طى قبضته
زادا شهيا لجوف بات جوعانا

* * *

يا للإخاء ترى « الكركى » آيته
فهل ترى مثله فى الدهر إنسانا ؟
إن القوى ليجتاح الضعيف بنا :
سلبا ، وغدرا ، وإيذاء ، وحرمانا
والطير ترعى على الأيام دولتها
فانظر لدنياهم . . واعجب لدنيانا

محمد يوسف المحجوب

ذليلة

كانت تمر فى عهد ، ثم مرت فى عهد آخر ...
وبين العهدين مات رجاء ! !

الأستاذ أحمد كمال زكى

قيل لى مرت هنا وهى بطيئه   وخطاها رهن قيد ومشيئه
عبرت تحفر لحنا شله   إصبع يسفح إثما وخطيئه
كفنت فى شعرها موسنة   وأمانٍ بين نهديها خبيئه
وتق ُّ العطر من زنارها   فتق ُّ الأرض . والأرض بريئه
خصرها أنقاض خصر قد هوى   يوم أغفى النور والشمس مضيئه
خلفها ماض وتمضى لا ترى   عميت حتى على الماضى جريئه

* * *

قيل لى مرت كما مرت دليله   تحمل الحب لشمشون وسيله
تنظر الأفق وفى أهدابها   سرها تؤثر فيه كل حيله
يا لها . . . تذهب إلى واقف   فوق شلو كان فى نفسى خليله
لم أضع تحت سماها أملا   لترى ما كنت أخشى أن أقوله
كنت ماشئت ، وكانت لعبتى   لا كما كان الذى ضل سبيله
ضاع شمشون بحب غادر   وأنا ما كان لى يوما دليله

* * *

قيل لى مرت . . ومرت فى سكينه   لا ترى الباب ولا تلحظ دجونه
نهدت فى خطوات لا نمى   مثل هذا الطير يستجدى سجينه
لم أهن بعد ، وما كانت لها   لتجر اليوم تجتر رعونه
أنت يا هذى ضلال صاخب   فاتق الأعين فيما تفعلينه
قد رأيت الباب ، بل ما خانه   فيه حفنة آمال رهينه
إنها لى . . بل لأنى حرة   لا اطين فى رواء الياسمينه

* * *

قيل مرت . . ثم ماذا يا فتيه   ليس حقلى ما ترويه شقيه
قذفتك النار شيطانا به   أيريد القوت فى أرض تقيه
أنا تكفير أبينا آدم   وحياتى ما لها حوا دعيه
ما لها فيك هوى أو بغية   وبها فيض أمانٍ أزليه
ما لها إلا انعتاق مطلق   لذرى شم وراء الأبديه
أناذات . . فكرة . . بل نفحة   إن خطت جاءت حياة سرمديه

أحمد كمال زكى
مدرس بالمدرسة المحمدية

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

الاتجاهات الأدبية الحديثة:

طلبت محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية إلى محرر هذا الباب، أن يتحدث إلى مستمعيها عن «الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر» فأعد لها هذا الحديث الذي سجل في «استديوهات السيد بدير بالقاهرة» وأذيع مساء يوم الأربعاء الماضي. ويظهر أن المحطة ستذيع أحاديث أخر عن الاتجاهات الأدبية الحديثة في الأقطار العربية الأخرى. فأنشر حديث الاتجاهات المصرية فيما يلي، راجيا أن يتاح لي تتبع ما عسى أن يذاع عن الاتجاهات الأخرى، فأحدث به قراء الرسالة انقف على وجهات النظر في عالم الأدب العربي الحديث بمختلف بلاده

وهذا نص حديثنا:

كان أساتذتنا شيوخ الأدب في مصر، أصحاب دعوة جديدة في التوجيه الأدبي، ظهروا بها في الثورة على من عاصروهم من قدامى الأدباء، وقاموا بدورهم الخالد في نهضة الأدب العربي الحديث، ارتادوا آفاق الآداب الأوربية، وهم ذوو ثقافة عربية ومواهب أصيلة، ثم كتبوا وألفوا، حتى جمعوا لنا هذه الثروة الأدبية التي تكون أدبنا الحديث

وموضوعنا — وهو «الاتجاهات الأدبية الحديثة في مصر» — لا أريد له أن يمس أدب أولئك الأعلام وذلك لأمرين، الأول أن ذلك الأدب قد شبع من درسه والحديث عنه، الأمر الثاني أنه قد تقادم عهده بعض الشيء، وجد بعده أو معه أدب أولى منه بلفظ «الحديث» من الناحية الزمنية على الأقل

وقبل أن نقصد إلى هذا الأدب الحديث، ونأخذ في تبين اتجاهاته، أحب أن أذكر أمرا أراه محور هذا الموضوع ذلك أن المسألة في اتجاه الأدب ليست مسألة الأدباء وحدهم، وإنما هي كذلك مسألة القراء، بل إننا إذا نظرنا إلى أن الكتاب كانوا قراء قبل أن يكونوا كتابا، ولعلهم أكثر الناس قراءة — إذا نظرنا إلى هذا وجدنا الأمر كله في توجيه الأدب راجعا إلى القراء، فالجيل من الناس يشعر بحاجاته، ويطلب من التفكير والتعبير ما يلائم روحه وعصره، فيخرج من صميمه كتاب يعربون عنه ويقودون أفكاره

كان الأدباء قديما يلوذون بالملوك والأمراء وأشباههم من الكبراء، لأنهم هم الذين يقرؤونهم أو يسمعونهم، ويجزونهم على ما يقولون. ثم جاءت العصور الحديثة بالثورة على الطبقات الأرستقراطية، فتقدمت طبقات متوسطة إلى الصفوف الأولى في المجتمع وفي الحكم والسياسة. وقد تهيأت الفرصة للطبقة المتوسطة في مصر عن طريق التعليم في صدر هذا القرن العشرين، فارتفع منها أفراد إلى الطبقة العالية، وكان القراء يتكونون من هؤلاء وممن ظلوا متوسطين في حال حسنة، وكان حظ النوع الأول من الشعور بأنفسهم موفورا، وكان الآخرون المتوسطون يتطلعون إلى الأولين ويحاكونهم، فلم يكن يهم أولئك ولا هؤلاء ما تعانيه سائر طبقات الشعب من فقر وجهل ومرض. في هذه البيئة وفي ذلك الطور من الزمان نشأ أدباء الجيل الذي كان حديثا في ذلك الوقت، فكانوا لسان الطبقة المتوسطة ومن ارتفع منها

وأرى من الضروري قبل الاسترسال في الحديث أن أنبه على أننا في هذا الموضوع بصدد اتجاهات الأدب، لا وصفه والحكم على قيمته، وأذكر كذلك أننا مضطرون إلى إجمال الكلام في هذا الحديث القصير، فليس ما نقوله ينطبق على كل الأدب وجميع الأدباء، وإنما هو على وجه العموم والإجمال

كان أولئك الأدباء يحلقون في أجواء متعددة، وكان أكثر ما يطرقونه الدراسات الأدبية: دراسة الأدب العربي القديم، ودراسة الآداب الأوربية القديمة والحديثة، ومنهم من اتخذ التاريخ الإسلامي مجالا للتأليف في عرضه وتحقيقه، ومنهم من اتخذ منه مادة لخيال أدبي وعمل فني. وهم كالطبقة التي صحبوا تقدمها في شدة الشعور بأنفسهم، فكانوا أحيانا يسرحون مع

الخيال ويلزمون الأبراج العاجية ، يستوحون فيها الخواطر والأفكار البعيدة من معترك الحياة الدنيا ، فإذا قصدوا إلى تصوير المجتمع صوروه لنا مترفا وعرضوه عرضا ملهيا يقصد منه الإقناع أكثر مما تلمس فيه الحرارة

ثم تقدم الزمن وانتشر التعليم ، وألحت الآلام على الناس فى أعقاب الحرب الأخيرة ، فأصبحوا ينظرون شزرا إلى تلك الآداب السابحة فى أجواز الفضاء ، ويعدونها ضربا من العبث ، فهم لا يجدون فيها أنفسهم ، ولا يرون بها صدى لما يشغلهم ، فصاروا عنها من المعرضين

وقصد بعض الكتاب إلى الأدب الخفيف اللذيذ الخالى مما يفيد ، أو الأدب الماجن الذى يشبه الصورة العارية ، وكثيرا ما يرافقها ، وذلك ليجتذبوا القراء ، وانجذب القراء إليهم فعلا ، فتخدروا حينا ، ثم أفاقوا أو أخذوا يفيقون

سادت الكتابة الخفيفة الفارغة والماجنة بعض السنوات فى أعقاب الحرب ، ولكن جاذبيتها أخذت تتضاءل بعد ذلك حتى كادت تمحى وأصبحنا نرى فى السنوات الأخيرة كتابات تتجه إلى الشعب وتتناول مسائله ومشكلاته ، تراها فى الصحف وفى الكتب ، وترى الناس يقبلون على قراءتها ويستزيدون منها ، والذى يسترعى النظر أنك إذا ذكرت كلمة الأدب أمام بعض هؤلاء الكتاب أو أمام الذين يقرؤونهم ، بدا عليهم عدم الاكتراث ، كأنهم يقولون : دعنا فى حالنا ! مالنا وللأدب .. وهم معذورون فى ذلك ، لأن تحليق الحالقين من الأدباء فى عالم الكواكب والنجوم قد جنى على المفهوم العام للأدب ، وصار كثير من الناس لا يفهمونه إلا على أنه مناقشة فى الكلاسيكية والرمزية أو معركة على نسبة من الشعر إلى المتنبى أو أبى تمام !

وعلى ذلك أستطيع أن أقول إن الأدب الحديث فى مصر يتجه الآن إلى الواقعية التى تهدف إلى صميم الشعب على أيدى كتاب من الشباب ومن الشيوخ أيضا ، يوجهوهم القراء الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا الاتجاه لا يزال فى أوائله ، وهو بطبيعة الحال سيزداد كلما انتشر التعليم وزاد عدد القراء من سواد الناس

وأرى أن هذا الاتجاه لم يرد إلينا من الخارج ، وإن كان مصاحبا لأشباهه فى البلاد الأخرى ، إنما هو وعى جديد مستمد من داخل النفوس . وقد حاول بعض الأدباء أن يستوردوا مذاهب أوربية كالوجودية والرمزية والسريالية ، ولكن أحدا لم يلق باله إليهم

ذلك هو الاتجاه ، وهو كما قلت شىء آخر غير قيمة الإنتاج فى ذاته ، ولا شك أن فيما يكتب كثيرا من الجيد

كشكول الأسبوع

□ بمناسبة إلغاء المعاهدة وتعديل الدستور للنص على لقب ملك مصر والسودان — أقترح أن يطلق على شطرى الوادى لفظ واحد عن طريق النحت ، وليكن « مصرودان » ولتكن الجنسية واحدة وهى المصرودانية ، والواحد مصرودانى

□ يمكن الآن أن يقال إن العقبات « الدبلوماسية » التى كانت تحول دون إنشاء معهد فاروق الأول للدراسات العربية فى طنجة ، قد ذللت ، فقد انتهت المباحثات التى جرت بشأنه بين معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف وبين الجهات الفرنسية ، بموافقة فرنسا على إنشاء هذا المعهد . ويهتم معاليه الآن بتنظيم افتتاحه

□ عرض أحد المستشرقين على مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أن يقوم بإتمام ما بدأه الدكتور فيشر فى معجمه المعروف والسعى للحصول على ما عمله فيشر من جزازات بعد سفره من القاهرة آخر مرة منذ عشر سنوات

□ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « الإسلام — لا الشيوعية ولا الرأسمالية » للأستاذ البهى الخولى ، وهو من الكتب القيمة التى ألفت فى السنوات الأخيرة للدعوة إلى مبادئ الإسلام وتطبيق نظمه فى الحياة العملية . ويمتاز هذا الكتاب بالإفاضة فى موضوعات العمل والمال وتشريعات الإسلام فيها ، موضحة بكثير من الأمثلة المأخوذة من الحياة الإسلامية الأولى ، ومؤيدة بأسانيد من الكتاب والسنة . ويلمح القارئ براعة المؤلف فى توجيه ذلك إلى وجوب الانتفاع به فى حياتنا الحاضرة

□ جاء من بيروت أن الحكومة اللبنانية تنظر الآن فى إطلاق اسم أمير الشعراء أحمد شوقى بك على أحد الشوارع بيروت تخليدا لذكراه

الرائع ، وفيه أيضا كثيرا مما تدفع إليه العجلة وحب الإكثار وابتغاء الكسب ، وفيه مع هذا وذاك كثير من الهذر والإسفاف

وإنى متفائل بمستقبل الأدب فى مصر ، لثقتى بهذا الشعب الذى يتعلم فيكثر فيه القراء الذين سيوجهون الأدب ويحملون الأدباء على الإجادة بالإقبال عليهم ، وبالتنبيه إلى قيمة ما يكتبون

ونسمع أحيانا من يعيب كتاب هذا الجيل لعدم عنايتهم باللغة والأسلوب ، ويرد عليهم آخرون بأن المهم هو المعنى ، ومعركة اللفظ والمعنى معركة قديمة ، تثارمن حين لآخر ، ولا شك أن الذوق السليم يتطلب الجمال فى كل شئ ، فلماذا لانطلبه فى أسلوب الأدب ليكمل به جمال المعنى ؟ وإذا اعتبرنا المعنى بمثابة الروح واللفظ بمثابة الجسد أفليس من الكمال أن يكون الروح الجميل ؟ غير أننى لا أوافق القائلين بأن كتاب الجيل يهملون هذا الجانب فى كتابتهم ، فالجمال مسألة تتعلق بذوق العصر ، فالفتاة المصرية — مثلا — تتبع فى حليتها وتنسيق هندامها وثيابها غير ما كانت تصنعه الفتاة فى العصور الماضية ، وكذلك الأسلوب ، فكما تركت الفتاة الأقراط الذهبية ذات الوزن الثقيل ، وكما نبذت العقود ذات الأقراص المستديرة الكبيرة ، وكما تحولت عن الألوان الزاهية الصارخة ، كذلك فعل أدباء هذا الجيل ، إذ جانبوا العبارات الطنانة والتراكيب الرنانة ، ووجهوا همهم إلى الكلمة العذبة والأسلوب الأسلس ، أى أنهم يتجهون إلى البساطة واستخدام الكلام للوصول إلى الهدف ، وليس معنى هذا أنهم أهملوا ناحية الجمال ، وإنما هم يسيرون فى اتجاه الذوق المصرى العام الذى يؤثر جانب البساطة فى كل شئ . ومما يلاحظ فى هذا المقام أن أدباء الشباب جميعا متمسكون باللغة الفصيحة ، لا ترى فيهم من يدعو إلى العامية ، كما كان فى الجيل الماضى من يدعو إليها ، وكل ما فى الأمر أنهم يريدون أن يطوعوها ويقربوا بينها وبين اللغة الدارجة برفع الدارجة إلى الفصيحة

سيداتى وسادتى — لعلكم تلاحظون أننى إلى الآن قصرت الحديث على الكتابة ، ولم أتعرض للشعر . إننى فعلت ذلك حقا لأن اتجاه الأدب إلى الحياة الواقعة فى مصر إنما هو فى ناحية الكتابة فقط ، أما الشعر — على وجه الإجمال — فلم يتفضل بعد بأن يأكل من طعام الناس ويمشى فى أسواقهم

ونرى أن الشعر المصرى يسير الآن فى اتجاهين : الأول إتباعى كلاسيكى ، لا يزال أصحابه يقولون كما كان يقول القدماء ، وينظرون إلى الأشياء كما كانوا ينظرون ، وقد وصف أحد الظرفاء هذا الفريق من الشعراء بأنهم « شعراء الفنادق » ، يستقبلون القادمين ، ويودعون الراحلين ، وتظهر على وجوههم دلائل مختلفة ليس فيهما يدل على حقيقة ما يعتلج فى نفوسهم . والاتجاه الثانى اتجاه خيالى فردى ، وهو اتجاه المدرسة الحديثة ، لا تزال مشاعر أصحابه معلقة بالحبيب الهاجر والبحيرة الساجية والخطرات المغرقة فى التأمل السابح بعيدا من حياة الناس

واعتقد أن تخلف الشعر عن النزول مع الكتابة إلى معترك الحياة ، هو الذى جعل الناس ينصرفون عنه ، أو هو على الأقل أحد الأسباب فى هذا الانصراف . والكلام هنا — كما سبق أن قلت — إجمالى ، فهناك من غير شك فلتات من الشعر تتصل بالحياة ، كما أن من الكتابة مالا يزال بعيدا من الحياة

عباس خضر

البريد الأدبي

علم يغيب :

غيب الموت منذ بضعة أيام علما من أعلام فلسطين ، هو المربى الكبير الأستاذ أحمد سامح الخالدى ، فقد توفاه الله عن كهولة فاضلة ، ممتلئة بالخير والتقوى والمروءة، ولقد وهب حياته منذ شبابه للثقافة والوطنية والمثل العليا ، حتى غدا كاتبا مرموقا وعالما خبيرا بالتربية وأصول التدريس ، أشرف على التعليم العام، وأدار الكلية العربية بالقدس الشريف بكفايته وتوجيهه إلى جانب بحوثه وتحقيقه ، وله أشتات المؤلفات مطبوعة ومخطوطة ، وقد نزح عن موطنه حين عدا عليه الأعداء ، فأقام ببيروت عاكفا على التأليف والتصنيف ، ومديرا لشركة الطيران اللبنانى التى أسسها آل زوجته الأديبة الفضلى السيدة عنبرة سلام

وكانت « الرسالة » حفية بمقالاته حتى عددها الأخير ، فما أجدرها بالعزاء والتنويه بمآثر الفقيد الخالد

ولعل الأيام القريبة تتيح لى القيام بهذا الواجب

القاهرة — **وداد سكاكينى**

١ — إلى الأستاذ قطب :

أخى صاحب التصوير الفنى فى القرآن ...

قرأت فى البريد الأدبى من مجلة الرسالة الغراء العدد «٩٥١» تعقيبك على مقال السيد سامى أمين « النقد والشعر » فاستغربت من كاتب كبير له مكانة مرموقة فى العالم العربى أن يتصدى للرد على أديب لم نسمع به عدا هذه المرة ، ثم أخذنى العجب مرة أخرى عندما عرض الكاتب نماذج من شعر السيد شاذل طاقة فى العدد « ٩٥١ » من المجلة نفسها ولم يتعرض لشعر غيره من شعراء العراق المبدعين، فهذا الشاعر الذى تعرض لشعره السيد سامى أمين كان قد أصدر مجموعة من الهذر المنظوم سماها « المساء الأخير » وعندما عرضت فى أسواق بغداد لم تصادف الرواج لأنها ليست من الشعر بشئ لذلك أعرض عنها النقاد والأدباء .

أنا شاكر لك حسن ظنك بالشعر العراقى حيث تقول: « وهذا الذى عرضه لا يمثل نهضة الشعر العراقى حيث تلمح قوية مرموقة تشير إلى مقعد الزعامة الشعرية فى العالم العربى » ولعل الفرص تسنح لعرضها قريبا « لأنك أثبت أنك وأخوك صديقنا المداوى وصديقنا عباس خضر وأستاذنا الزيات فوق النزع الاقليمية والعصبية المصرية . أما عن آرائك فى النقد فيكفى أنك صاحب كتاب « النقد الأدبى » و « العدالة الاجتماعية فى القرآن » وأرجو أن لا تكون فى المستقبل إلا فى المكان المرموق الذى أعناه لك ولأمثالك من النابغين ، وحيا الله مصر ، واقبل من أخيك أصدق وأسمى آيات الإعجاب والإخلاص ..

٢ — نسبة شعر :

قرأت فى العدد الأخير من مجلة « المستمع العربى » التى تصدرها دار الإذاعة العربية بلندن مقالا للاستاذ « أبو الوفا محمود رمزى نظيم » عن الموشحات فى الشعر نسب فيه الموشحة التالية إلى ابن المعتز الشاعر العباسى :

أيها الساقى إليك المشتكى
قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت فى غرته
ويشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق إليه واتكا
وسقانى أربعا فى أربع

ونسبتها إلى ابن المعتز خطأ شائع صححه العلامة المرحوم طه الراوى إذ أثبت بعد بحث وتنقيب أنها للشاعر الأندلسى « ابن زهر » وقد نشر المرحوم بحثه فى مجلة « الرسالة » منذ سنوات ولا أتذكر الآن العدد المنشور به البحث ...

٣ — لمن هذا الشعر :

ذكر الأستاذ عبد الحليم على محمود فى العدد « ٩٥١ » من الرسالة الحبيبة أن الأستاذ عبد الغنى حسن الشاعر المعروف ينسب فى كتابه « ملامح من المجتمع العربى » الأبيات الآتية إلى

الجارية فضل :

لأكتمن الذي في القلب من حرق حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا أقول شكا من كان يعشقه إن الشكاة لمن تهوى هي اليأس

ولا أبوح بشيء كنت أكتمه عند الجلوس إذا ما دارت الكأس ونسبتها إلى فضل خطأ بل هي إلى الشاعر العباسي على ابن الجهم حسب ما قرأها في الجزء الثاني من كتب المنتخب ..

وأقول أنا « بأن لدى نسخة من ديوان على ابن الجهم » بتحقيق صديقنا معالي العلامة الشاعر خليل مردم بك سكرتير المجمع العلمي العربي بدمشق ووزير الشام المفوض فوق العادة ببغداد الآن فلم أعثر على الأبيات المذكورة آنفا في الديوان ، وهو ديوان بذلت في سبيل إخراجه على هذه الصورة جهود لاتنكر ، ولا أخال أن تلك الأبيات إلا لعباس بن الأحنف الشاعر الغزل المشهور لأنها أقرب لعاطفته ، ورغم ذلك فهل في الباحثين من أدباء العرب من يعرف نسبة الأبيات المذكورة فيرشدنا لها وله منا ألف تحية وإعجاب ؟ !

٤ — غنوة وغنية :

أخذ على الأستاذ الفاضل عبد الفتاح الجزار من الصاقية في العدد ٩٥١ من مجلة الرسالة الغراء بأن كلمة « غنوة » لا تدل على الاكتفاء واليسار ولكن كلمة « غنية » بالضم هي التي تدل كما في مختار الصحاح ، وإيضاحا لذلك التنبيه أود أن ألفت نظر الأستاذ الجزار إلى أن كلمة غنية وغنوة هما في معنى واحد وهذا هو الدليل . .

جاء في الصفحة « ٣٧٤ » من لسان العرب لمؤلفه ابن منصور الأندلسي المتوفى سنة ٧١١ هـ . وهو أقدم مؤلف المعاجم بعد ابن دريد صاحب « الجمهرة » المتوفى سنة ٣٢١ الذي يعد أقدم من وضع المعاجم في العربية ، مادة « غنا » ما يلي :

استغنى الله سأله أن يغنيه قال وفي الدعاء اللهم إني أستغنيك عن كل حازم وأستعينك على كل ظالم ، وأغناه الله وغناه « التشديد » وقيل غناه في الدعاء وأغناه في الخير والإسم من الاستغناء عن الشيء والغنية والغنوة بالضم والغنية بالسكون أيضا والغنيان وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض قال المغيرة بن حبناء التميمي :

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

واستغنى الرجل أصاب غنى

وجاء في الصفحة ٢٧١ المجلد العاشر من « تاج العروس » للسيد محمد مرتضى ، الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ مادة « غنوة » الغنوة بالضم قال الكسائي هو الغنى وتقول لي عنه غنوة أي غنا وجاء في الجزء الرابع ص ٣٦٤ من القاموس المحيط للفيروز أبادي الطبعة الثالثة ببولاق مصر سنة ١٣٠٢ مادة « الغنى »

والغنوة بالضم الغنى تقول لي عنه غنوة والغنوة والغنيان بالضم والإسم الغنية بالضم والكسر وكلها بمعنى اليسار والاكتفاء كما قلت في ٩٤٩ من الرسالة

ومن هذا أود أن يعرف الأستاذ الجزار بعد شكري له على ملاحظته أني لا أعتمد على مختار الصحاح بقدر اعتمادي على لسان العرب لأن الفرع يجب أن يتبع الأصل والفضل للمتقدم كما قد قيل .

عبد القادر رشيد الناصري

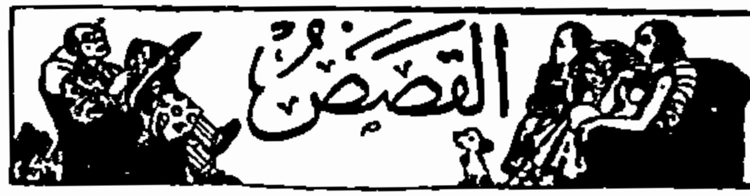
فتح الحرم المكي في الليل :

جاء في التلخيص الذي قدم به المرحوم الأستاذ سامح الخالدي الرحلة الحجازية لسيدي مصطفى البكري الجملة الآتية في ص ٩٧٧ من العدد ٩٤٧ الصادر في ٢٤ من ذي القعدة هذه السنة ما يأتي :

(وكيف كان الحرم في مكة يفتح خصيصا لأمير الحج الشامي) .

وهي عبارة توهم أن الحرم المكي كان يغلق في الليل وهو أمر لم يحدث لأنه يمنع الطواف . والطواف لا يمنع في أي وقت . وإنما وهم الأستاذ الخالدي فظن أن البيت هو الحرم . وذلك أن الشيخ البكري ذكر في ص ١٠٠٩ العدد ٩٤٨ من الرسالة ما يأتي : (فأيقظني رفيق رفق وقال قم فإن البيت فتح للأمير الشامي الكبير الخ .) وبديهي أن المراد من البيت هو الكعبة المشرفة زادها الله تعظيما وأما الحرم فالمراد منه عرفا هو المسجد الكبير المتسع المحيط بالكعبة والمحتوى على المطاف وبئر زمزم — وأقول عرفا لأن حقيقة الحرم هي ما يدخل ضمن أعلامه التي هي من الشرق قرب عرفات ومن الغرب الشمسي قرب الحديبية ومن الشمال التنعيم أي مسجد السيدة عائشة وهكذا

لذا أرجو نشر هذا تصحيحا لعبارة المغفور له الأستاذ الخالدي وتفضلوا بقبول فائق الاحترام عبد المعز النجار



اللص الشريف

للكاتب الأمريكي الفكاهي ستيفن ليكوك

ترجمة الأديب مصطفى أبو غربية

— سأقص عليكم أيها السيدات والسادة قصتي ، ولكم الخيار أن تصدقوا أو لا تصدقوا ما حدث لي . أما أنا فما علي إلا أن أروي الحادثة بدون زيادة ولا نقصان فأصيروني أسماعكم بضع دقائق

في صباح أحد أيام الأسبوع وقع نظاري على شاب وسيم الطلعة ، واقفا أمام شباك التذاكر في إحدى دور السينما ، فقلت في نفسي — لقد سبق أن رأيت هذا الشاب مرات واقفا أمام شباك التذاكر ، فمن المحتمل أن يكون هناك سرا . ولم يخب ظني — ففي لمحة البصر مد الشاب يده إلى جيب جاره وأخرجها بخفة وبها محفظة نقوده ، وبكل هدوء وسرعة دسها في جيبه وسار بخطى متئدة مبتعدا من شباك التذاكر خشية أن يراه أحد

وكنت لما أزل طالبا أدرس العلوم الجنائية، فأنا لست من رجال الشرطة ولم تكن مهمتي مراقبة اللصوص ومطاردتهم ، وقد سبق لي أن كتبت مقالة عن العلوم الجنائية وقد حازت إعجاب كل من قرأها . ولم يسبق لي أن تفهمت أو درست عقلية اللصوص النشالين أو شاهدتهم يسرقون ، ولأول مرة أرى فيها هذا اللص يمارس مهنته في مثل هذا المكان ، ففكرت في الأمر عاجلا وقلت في نفسي — هل أترك الفرصة تمر بدون أن أستفيد منها؟ فلماذا لا أتتبع خطوات هذا اللص وأقف على حقيقة أمره — والدافع الذي يدفعه لارتكاب مثل هذه الأعمال . فلحقت بالشاب الذي نشل المحفظة من جيب جاره ورأيته داخلا صالات الرقص فتبعته مقتفيا أثره، ثم دنوت منه وابتدرته قائلا — هل لي أن أجالسك ؟ ولا يريبك أمري ، فأنا لست من رجال الشرطة ولا ممن يودون مشاركتك في غنيمتك ، فلا تقلق ولا تضطرب فكل ما هنالك أنني طالب يدرس العلوم الجنائية وكاتب صحافي مبتدئ ، وقد لحظتك منذ فترة من الزمن قد مددت يدك إلى جيب جارك وأخرجتها بمحفظة نقوده ، وانسللت بخطى بطيئة . وتبعتك إلى أن دخلت هنا فلا تخف شيئا من أمرك عني ، فهل لنا أن نتحدث بضع دقائق ؟

فابتسم الشاب ولم يضطرب ولم يرتب ، وأجابني قائلا — إنني أعرف أنك لست من رجال الشرطة ، ومن الواجب علي أن أخبرك بأنني أنا أيضا لست من اللصوص المجرمين . ولكن لي رجاء أرجو أن تسمح لي بأن نواصل حديثنا في مكان يفضل هذا المكان . فأجبته بالقبول ، وخرجنا من الصالة وقد تأبط الشاب ذراعي كأن صداقتنا وطيدة منذ زمن وبدون كلفة وسرنا معا في طريق مؤدية إلى سوق عمومية تزدحم فيه عربات الخضار والمشروبات المنعشة وتكثر فيه بائعات اللبن وهنا أشار الشاب إلى امرأة عجوز ممن جلسن وراء عربة لبيع اللبن وفي يدها وعاء فارغ انهمكت في تنظيفه بعد أن أفرغته لأحد المشترين

فسألته — هل عزمت على سرقة هذه العجوز المسكينة ؟

فابتسم ولم يجب — ولكنه تركني واتجه نحوها وألقى في وعاء اللبن الفارغ المحفظة التي سرقها عند شباك بيع تذاكر السينما ، وعاد إلي متأبطا ذراعي وتابعنا سيرنا من جديد . وابتدرني قائلا — أظنك أدركت الآن ما هي رسالتي التي أؤديها ؟ وحسبي أنك فهمت ما هو العمل الذي أسعى من أجله ؟ — إنني من محبي حفظ التوازن بين حظوظ الناس وثرواتهم — فكل ما أبغي أنني أساعد المساكين الفقراء! فها أنا أسرق من الأغنياء وأعطي الفقراء ، آخذ من ذلك المترف الغني محفظة نقوده وألقيها في وعاء لبن هذه المرأة العجوز المسكينة المحرومة من نعم الدنيا ، فها هي الحكومات تتقاضى الضرائب والرسوم من الأثرياء وأصحاب العقارات والدخل السنوي لتنفقه على المعدمين الفقراء ، فأنا أساعد

الحكومة بقدر استطاعتي، وثق أني أعمل هذا بالرغم مني مدفوعا بدافع غريزي لا أستطيع مقاومته، وقد دأبت على فعله منذ نعومة أظفاري ... ولكن هيا بنا نذهب لبيتي حيث أطلعك على السر كله — هــــل تحب ؟ فأجبته بكل سرور — فقال إنك سترى على باب بيتي اسما محفورا على لوحة نحاسية (بيت شريف) وقد يحملك هذا الاسم على التفكير ، فلا داعي إذن للتفكير فهو اسم والدي عن جدي — إن أجدادي كلهم كانوا يحترفون العمل الذي أحترفه اليوم . سنجد باب الدار مقفلا ، وقد تكون مريم خرجت لزيارة إحدى صديقاتها . وفعلا وجدنا الباب مقفلا ولكنه قال لي سندخل من باب المطبخ — تعال معي — فدخلناودعانا الشاب للجلوس فجلست ؛ وفاجأني قائلا :

— هل تعرف اسمي ؟ اسمي شريف قد ورثته عن أبي الذي ورثه عن جدي . فقلت إسمــــك شريف ؟ فهذه مصادفة جمعت بين اسمك وعملك — فعملك اللصوصية والسرقة واسمك شريف ، فأنت إذن لص شريف ؟ واسم المرأة أمك أو زوجتك مريم كل هذا . . . فقاطعني قائلا — اعلم أنني سليل بيت عريق لم تقدر البشرية حسناته نحوها . واعلم أنك أصبت بأني (لص شريف) وستخلد الأيام اسمي كاخلاد ذكرى والدي وجدي العظيم . سترى صورته هنا في القاعة المجاورة وسترى مدى الشبه بيني وبينه ، وإذا كنت أميل إلى الأخذ من الأغنياء لأعطي الفقراء — وهو ما كان يفعله جدي ووالدي — فإن إخوتي جميعا يميلون لمثل هذا العمل أيضا — إننا لصوص شرفاء أبا عن جد — ونحن ما زلنا نواصل تأدية رسالة الجد الأكبر ؛ فنقوم المعوج ، ونعدل ميزان المساواة في الثروة بين النـــاس. ولكن انتظرني قليلا فسآتيك بصورته .؟

خرج الشاب وتركني في القاعة — وما هي إلا بضع دقائق حتى سمعت حركة خفيفة عند الباب وإذا به يفتح وإذا بسيدة لا أعرفها تدخل القاعة . فدهشت المرأة عندما رأتني وداخلها بعض الريب والخوف — فهدأت من روعها قائلا — لا تخشي من شيء يا سيدتي مريم فأنا صديق أسرتك — جئت مع شريف إلى هنا منذ زمن قصير ؟ فتمتمت السيدة بصوت خافت — شريف — أحد أفراد أسرتنا ؟ فقلت — نعم شريف — زوجك أو ابنك لا أدري ؟

— زوجي — ابني؟

— فقلت — ها هو في الغرفة المجاورة ذهب ليأتيني بصورة جده شريف

— جده شريف !

فقالت — يا سيدي أنا لا أفهم شيئا مما تقول؛ فأنا غريبة عن هذا البيت ولست من سكانه . وزوجي ليس اسمه شريف ولا أنا اسمي مريم ! أظنك مخطئ — قالت هذا وتراجعت للباب مذعورة فاستوقفتها — وقلت لها — بيت من هذا إذن ياسيدتي ؟ قالت : هذا البيت للإيجار — جئت لأستأجره ! ولكن من تكون أنت إذا لم تكن صاحب البيت ولا تعرف صاحبه ؟

لخطر لي خاطر وقلت أنا يا سيدتي مستأجر مثلك جئت لأستأجر هذا البيت

قالت — آه فهمت الآن ؟

قلت — وأنا أيضا فهمت ياسيدتي ! أستودعك الله . قلت هذا وخرجت مسرعا — إذن كل ما قاله الشاب كان سلسلة من الأكاذيب . البيت والأب والجد والأسرة والحرفة الشريفة ، والأخذ من هذا وإعطاء ذاك . . . إنه لص ولكنه غير شريف . . ووضعت يدي في جيبي فإذا بحفظة نقودي قد اختفت . لقد سرقني اللص الشريف كما سرق غيري من قبل . وأسرعت راكضا نحو مركز الشرطة، وإذا بي ألمحه عن بعد. لمحت الشاب وهو يركب سيارة ومعه امرأة لم تكن غير بائعة اللبن العجوز التي ألقى المحفظة في وعائها وهي تنظفه . وابتعدت السيارة ووقفت حائرا — أتكون المرأة شريكته في السرقة ؟

لقد فهمت الآن كل شيء ورحت ضحية هذا اللص الشريف الذي عرف كيف يضحك مني ويضللني . هل أذهب إلى مركز الشرطة وأقص قصتي وأطلب البحث عن الجاني ؟ ولكن ما الفائدة ؟ سيضحكون مما حدث لي — فخير لي أن أسكت وأن أواصل الدرس والبحث لأني لا أزال مبتدئا في إدراك حيل اللصوص والنشالين الأذكياء. وعدت إلى بيتي مشيا على القدمين وأنا أفكر في خطة لإيقاع هذا اللص الشريف !

مصطفى أبو غربية